الفصل الثامن

معجزات القرآن العلمية

أولاً: وحدة الكون:

أظهر النظريات العلمية الحديثة تقول: إن الأرض كانت جزءاً من المجموعة الشمسية ثم انفصلت عنها وتبرّدت وأصبحت صالحة لسكنى الإنسان، ويبرهنون على صحة هذه النظرية بوجود البراكين والمواد الملتهبة في باطن الأرض، وقذف الارض بين حين وحين بهذه الحمم من المواد البركانية الملتهبة.. الخ..

هذه النظرية تتفق مع ما أشار اليه القرآن الكريم في قوله جل ثناؤه:

﴿أوَ لم يرَ الّذينَ كفَروا أنّ السّمواتِ والأرضَ كانَتا رتْقاً[1] ففَتقْناهُما[2] وجَعلْنا منَ الماء كلّ شيء حيّ، أفلا تؤمنون﴾[3]..

يقول الاستاذ (طبارة): هذه معجزة من معجزات القرآن يؤيدها العلم الحديث الذي قرّر ان الكون كان شيئاً واحداً متصلاً من غاز ثم انقسم الى سدائم، وعالمنا الشمسي كان نتيجة تلك الانقسامات.. اما الشطر الثاني من الآية **﴿وجعلنا من الماء**

---

(١) الرتق: الضم والإلتحام.

(٢) الفتق: الفصل بين الشيئين.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

﴿كلّ شيء حيّ﴾ فهو من أبلغ ما جاء في تقرير حقيقة علمية أدرك العلماء سرّها، فمعظم العمليات الكيمياوية تحتاج إلى الماء، وهو العنصر الأساسي لاستمرار الحياة لجميع الكائنات والنباتات وللماء خواص أخرى تدل على ان مبدع الكون قد صمّمه بما يحقق صالح مخلوقاته، والماء يمتص كميات كبيرة من الأوكسجين عندما تكون درجة حرارته منخفضة، وعندما يتجمد تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد الأحياء التي تعيش في البحار من أسماك وغيرها، فما أعجب حكمة القرآن الذي يبين بكلمات جليلة سرّ الحياة؟!..

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير هذه الآية الكريمة: كانت السماء رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، فلمّا خلق للأرض أهلاً، فتق السماء بالمطر، وفتق الأرض بالنبات[1]..

أقول: هذا التفسير جيل وحسن ويكون من باب (الاستعارة) وهو الذي ذهب إليه المفسّرون القدامى، ولكن لا يمنع أن يكون في القرآن بعض هذه الروائع العلمية التي كشف عنها العلم الحديث، فالقرآن حمّال وجوه، وليس هناك تحكّم في فهم أسراره، فربما فهم المتأخرون ما لم يفهمه المتقدمون، والله تعالى يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتنا فِي الآفاقِ وَفِي أنفُسِهِم حتى يتبيّن لَهُمْ أنّهُ الحقّ﴾[2]. فلعلّ هذا من الآيات التي أطلعهم الله عليها في القرن العشرين.

ثانياً: نشأة الكون:

يقول العالم الفلكي (جينز): (إن مادة الكون بدأت غازاً منتشراً خلال الفضاء بانتظام، وإن السدائم (المجموعات الفلكية) خلقت من تكاثف هذا الغاز)..

ويقول الدكتور (جامو): (إن الكون في بدء نشأته كان مملوءاً بغاز موزّع توزيعاً منتظماً ومنه حدثت عمليات)..

---

(١) أنظر: تفسير ابن كثير: ج ٣، ص ١٨٧.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

هذه النظرية نجد لها في القرآن الكريم ما يؤيدها ـ ولولا أنّ القرآن أخبر عن ذلك لاستبعدنا هذه النظرية ـ يقول تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخانٌ، فقال لها وللأرض: ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا: أتينا طائعين﴾[1] فالقرآن صوّر مصدر خلق هذا الكون (بالدخان) وهو الشيء الذي يفهمه العرب من الأشياء الملموسة. أيكون في مقدور امّي ـ منذ أربعة عشر قرناً ـ أن يدرك هذا في وقت كان الناس لا يعرفون شيئاً عن هذا الكون وخفاياه؟!.

ثالثاً: تقسيم الذرّة:

ظلّ الاعتقاد السائد حتى القرن التاسع عشر أن الذرّة هي أصغر جزء يمكن ان يوجد في عنصر من العناصر. وأنها غير قابلة للتجزئة لأنها الجزء الذي لا يتجزأ، وقد مضت قرون على هذا الاعتقاد ومنذ عشرات السنين الماضية حوّل العلماء اهتمامهم الى مشكلة (الذرّة) فأمكنهم تجزئتها وتقسيمها، وقد وجدوا أنها تحتوي على الدقائق الآتية: (١) البروتون. (٢) النيترون. (٣) الالكترون، وبواسطة هذه التجزئة اخترعوا القنبلة الذرية، والقنبلة الهيدروجينية، ونعوذ بالله من قيام الساعة ومن شر ابليس اللعين. إستمع إلى قوله تعالى عند الإخبار عن الذرّة ﴿وما يعزُبُ عَنْ ربكَ من مثقالِ ذرّةٍ في الأرضِ ولا في السماء، ولا أصغر منْ ذلكَ ولا أكبر إلاّ في كتابٍ مُبين﴾[2].

فكلمة (أصغر) من الذرة في الآية القرآنية تصريح جلي بإمكان تجزئتها، وفي قوله (ولا في السماء) بيان بأنّ خواصّ الذرات في الأرض هي نفس خواص الذرات الموجودة في الشمس والنجوم والكواكب. فهل درس محمد خواص الذرة وأمكنه تجزئتها والوقوف على خواصها في الأرض والسماء؟ إنها لدليل قويّ على أن القرآن وحي إلهي.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦١. يعزب: أي يغيب ويخفى.

رابعاً: نقص الاوكسجين:

منذ اكتشاف الطيران ظهرت للعلماء بادرة طبيعية وهي نقص الاوكسجين في طبقات الجو العليا. فكلما حلق الإنسان وارتفع في أجواء السماء كلما أدركته هذه الظاهرة. وشعر عند ذلك بضيق الصدر وصعوبة التنفس، حتى ليكاد يشعر بالاختناق، ولهذا فإن الطيارين يعطون تعليمات للركاب بأن يستعملوا (الأوكسجين الصناعي) حين تعلو بهم الطائرة إلى مرتفعات عالية تزيد عن ٣٥ خمسة وثلاثين الف قدم. هذه الظاهرة العلمية أشار اليها القرآن الكريم قبل اختراع الطيران وقبل أربعة عشر قرناً. استمع إلى قوله تعالى: **﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً[1] كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾**[1]..

ولقد كان القدماء يفسرون هذا الآية حسب مفاهيمهم التي تتفق مع زمانهم فكانوا يقولون (كأنما يصعد في السماء) أي كمن يحاول الصعود إلى السماء وهو ليس بمستطيع او كمن يحاول عمل المستحيل، وقد جاء هذا العصر فأظهر معجزة القرآن، وسجل اتفاقاً رائعاً للآية القرآنية مع الواقع العلمي فكان تأييداً لصدق نبوة محمد ﷺ، فلله ما أروع هذا القرآن وما أسماه؟!؟.

خامساً: الزوجية منبثة في كل شيء:

كان الناس يعتقدون بأن الزوجية (الذكر والأنثى) منبثة بين النوعين (الإنسان والحيوان) فقط، فجاء العلم الحديث فأثبت انها الزوجية توجد في النبات كذلك وفي الجماد، وفي كل ذرة من ذرات الكون والوجود، حتى الكهرباء ففيها (الموجب) وفيها (السالب) هذه فيها شحنة كهربائية موجبة، وتلك فيها شحنة كهربائية سالبة، وحتى الذرة فيها (البروتون) و (النيترون) وكل منهما يشبه الذكر والانثى وهذا الاكتشاف سبق اليه القرآن العظيم في عديد من الآيات الكريمة استمع إلى هذه الروائع البينات..

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥. حرجاً: شديد الضيق.

أ ـ ﴿وَمِنْ كُلِّ شيءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]. فالعموم هنا واضح (ومِنْ كُلِّ شيءٍ)..

ب ـ ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[2] (الإشارة هنا للنبات).

جـ ـ ﴿سُبْحانَ الَّذي خَلَقَ الأَزْواجَ كُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ، ومِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾[3]..

فهذه الآية الكريمة عمّمت الزوجية في النبات والإنسان وفي كل شيء مما نعلمه او لا نعلمه فسبحان الإله القدير العليم، الذي أحاط علمه بكل الأكوان وأحصى كل شيء عدداً..!

سادساً: أغشية الجنين:

ثبت علمياً أن الجنين في بطن أمه محاط بثلاثة أغشية، وهذه الأغشية لا تظهر إلا بالتشريح الدقيق، وتظهر بالعين المجرّدة كأنها غشاء واحد، وهذه الأغشية هي التي تسمى (الغشاء المشيماري) و (الخوريون) و (اللفائفي) هذا ما أثبته الطبّ الحديث، وقد جاء القرآن الكريم مؤيداً هذه الحقيقة العلمية، وذلك في سورة الزمر في قوله جلّ وعلا:

﴿يَخْلُقُكُمْ في بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ، ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ﴾[4] ففي هذه الآية معجزة علمية للقرآن، فقد أخبر ان الجنين له ثلاثة أغشية أسماها (ظلمات) لأن الغشاء حاجز وحجاب يحجز عنه النور والضياء، وهي في العلم الحديث ثلاثة أغشية.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٧.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦.

سابعاً: التلقيح بواسطة الرياح:

أثبت العلم الحديث أن الهواء ينقل الأعضاء المذكّرة إلى المؤنثة في النخيل والتين وغيرها من الأشجار المثمرة فيكون التلقيح بواسطة الرياح[1] والهواء، وهذه الناحية العلمية تحدّث عنها القرآن الكريم في قوله جلّ ثناؤه ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[2] وهذا سبق للقرآن في الحقائق العلمية الثابتة مما يدل على صدق النبوّة.

ثامناً: الحيوان المنوي:

اكتشف الطب الحديث أن هذا السائل من منيّ الإنسان يحوي حيوانات صغيرة تسمى (الحيوانات المنوية) وهي لا ترى بالعين المجرّدة، إنما ترى (بالمكرسكوب) وكل حيوان منها له رأس ورقبة وذيل يشبه دودة العلق في شكلها ورسمها، وأن هذا الحيوان يختلط بالبويضة الأنثوية فيلقحها، فإذا ما تمّ اللقاح انطبق عنق الرحم فلم يدخل شيء من بعده الى الرحم، وأمّا بقية الحيوانات فتموت، وهذه الناحية العلمية وهي أنّ الحيوان المنوي يشبه العلق في الشكل والرسم فقد أثبتها القرآن، استمع الى قوله جلّ وعلا: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[3] فهذه الآية معجزة بليغة من معجزات القرآن لم يظهر وقت نزولها ولا بعده بمئات السنين إلى أن اكتشف المجهر المكبّر (المكرسكوب) وعرف كيف يتكون الإنسان بقدرة الله.

تاسعاً: اختلاف بصمات الإنسان:

في القرن الماضي سنة ١٨٨٤ م استعملت في انكلترا رسمياً طريقة للتعرف على

---

(١) يقول المستشرق المستر (أجنيري) الأستاذ في مدرسة (أكسفورد) في القرن الماضي: إن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الريح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوروبا بثلاثة عشر قرناً، يشير بذلك إلى أن هذا مما سبق إليه القرآن والفضل ما شهدت به الأعداء.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٢.

(٣) سورة العلق، الآيتان: ١ و ٢.

الشخص بواسطة بصمات الأصابع، وأصبحت هذه الطريقة متبعة في جميع البلاد، ذلك لأن بشرة الأصابع مغطاة بخطوط دقيقة وعلى عدّة أنواع (أقواس، عراو، دوامات) وهذه الخطوط لا تتغير مدى الحياة وجميع أعضاء الجسم تتشابه أحياناً ولكن الأصابع لها مميزات خاصة إذ انها لا تتشابه ولا تتقارب وهنا المعجزة الإلهية، فلهذا اختار الله سبحانه بنان الإنسان في إقامة الدليل على البعث ﴿أيَحْسَبُ الإنسانُ ألّنْ نجمعَ عِظامَهُ * بلى قادرينَ على أنْ نُسَوِّيَ بَنانَه﴾ (١).

٧ ـ الوفاء بالوعد:

ومن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم (الوفاء بالوعد) في كل ما أخبر عنه، وفي كل ما وعد الله سبحانه عباده به، وهذا الوعد ينقسم إلى قسمين:

أ ـ وعد مطلق.

ب ـ وعد مقيّد.

فالوعد المطلق، كوعده بنصر رسوله، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه، ونصر المؤمنين على الكافرين، وقد تحقق ذلك كله إن شئت قوله جلّ وعلا:

﴿إنّا فتحْنا لكَ فَتْحاً مُبيناً * ليَغْفِرَ لكَ اللهُ ما تقدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخّرَ ويُتِمّ نِعْمَتَهُ عليكَ ويَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقيماً * وينْصرَكَ اللهُ نَصْراً عَزيزاً﴾ (٢) وقد تحقق هذا النصر بفتح مكة، وبدخول الناس في الإسلام أفواجاً أفواجاً، وبذلك تمت النعمة على سيّد الأنام محمد ﷺ وأقر الله عينه بنصره على أعدائه ﴿إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ * ورَأيْتَ النّاسَ يدْخُلونَ في دينِ اللهِ أفْواجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْهُ إنّهُ كانَ تَوّاباً﴾ (٣). وصدق الله وعده بنصرته لأنبيائه وأوليائه ﴿إنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والّذينَ آمَنُوا في الحَياةِ الدّنْيا ويَوْمَ يَقُومُ الأشْهاد﴾ (٤).

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٣، ٤.

(٢) سورة الفتح، الآيات: ١ ـ ٣.

(٣) سورة النصر، الآيات: ١ ـ ٣.

(٤) سورة غافر، الآية: ٥١.

ومن الوعد المطلق قوله جلّ ثناؤه: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ [1] وقد تحقق نصر المؤمنين في مواطن عديدة (في بدر، وأحد) وغيرهما من المعارك العظيمة التي شهدها تاريخ الإسلام، إقرأ قوله تعالى ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ [2] وقوله جلّ وعلا ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾ [3]. تحسونهم: أي تقتلونهم قتلاً ذريعاً.

ومن الوعد المطلق قوله سبحانه:

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم..﴾ [4] الآية. وقد تحقق الوعد فانتصر المؤمنون حتى فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وسارت جيوشهم حتى بلغت أقاصي المعمورة، وقد كان (أبو بكر) إذا أرسل جيوشه للغزو عرّفهم ما وعدهم الله ليتقوا بالصبر ويستيقنوا بالظفر. ومن الوعد المطلق قوله سبحانه ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾ [5]. أما الوعد المقيد فهو ما كان فيه شرط، كشرط التقوى، وشرط الصبر، وشرط نصرة دين الله وما شابه ذلك. قال تعالى ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [6] وقال تعالى ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [7] وقال تعالى ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾ [8] وقد وعد الله المؤمنين بالنصر بشرط الصبر كما قال تعالى ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.
(٤) سورة النور، الآية: ٥٥.
(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٨.
(٦) سورة محمد، الآية: ٧.
(٧) سورة الطلاق، الآية: ٢.
(٨) سورة الطلاق، الآية٤

عشرونَ صابِرونَ يَغلِبُوا مائتين ، وإنْ يكنْ مِنكُم مائةٌ يَغلِبوا ألفاً مِنَ الذينَ كَفرُوا بأنّهم قومٌ لا يَفقَهُون﴾ [1].

٨ ـ العلوم والمعارف:

ومن وجوه إعجاز القرآن هذه العلوم والمعارف التي زخر بها القرآن الكريم، والتي بلغت من نصاعة البرهان وقوة الحجة مبلغاً يستحيل على محمد ـ وهو رجل أمي نشأ بين الأميّين ـ ان يأتي بها من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعاً من أدباء وعلماء، وفلاسفة وحكماء، ومن مشرعين وعباقرة، أن يأتوا بمثل هذه العلوم والمعارف، وفي هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن حجة دامغة، وبرهان ساطع، يقصم ظهر كلّ أفّاك مُعاند، يزعم أن ما جاء به محمد إن هو إلا (تعاليم الكتب السابقة) استمدّها محمد من بعض أهل الكتاب في عصره ثم نسبها إلى ربه ليستمدّ من هذه النسبة قدسيتها ﴿كَبُرَتْ كلمةً تخرجُ من أفواههم إنْ يقولونَ إلاّ كَذِباً﴾ [2]. ونحن نقول لهؤلاء العمي: كيف يكون القرآن نسخة عن الكتب السابقة، وقد جاء منكراً على أهلها، مخالفاً لأكثرها، بل جاء مبطلاً وهادماً لأصول أفكارها وعقائدها بسبب ما دخل فيها من تحريف وتبديل؟! وكيف يمكن أن تتفق عقيدة (التوحيد) مع عقيدة (التثليث) وبينهما كما بين السماء والأرض؟! ألم يسمعوا الحكم القاطع الجازم فيهم بأنهم كفرة فجرة يعبدون احبارهم ورهبانهم من دون الله؟ ﴿وقالتِ اليَهودُ عُزَيرٌ ابنُ الله، وقالت النّصارى المسيحُ ابن الله، ذلكَ قولُهمْ بأفواههم يُضاهِئون [3] قَولَ الذينَ كفرُوا مِنْ قبلُ، قاتلهُم الله أنّى يُؤفكُون * اتّخذوا أحبارَهُم ورُهبانَهُم أرْباباً مِنْ دون الله والمسيحَ ابنَ مريم، وما أمِرُوا إلاّ ليَعبُدُوا إلهاً واحداً لا إله إلا هُوَ سُبحانَهُ عمّا يُشرِكُون﴾ [4].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥.

(٣) يضاهئون: أي يشابهون ويماثلون، والمضاهاة: المشابهة.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٣٠، ٣١.

جاء القرآن بالعلوم المتنوعة، والمعارف المتعدّدة، في العقائد، والعبادات والتشريع والتنظيم، وفي الأخلاق والمعاملات، وفي حقول شتى، في التربية، والتعليم، وفي السياسة والاقتصاد، وفي الفلسفة والاجتماع، وكذلك في القصص والأخبار، وفي أصول المناظرة والجدل. ولا شك أن هذا الوجه من أظهر وجوه الإعجاز، فكيف يستطيع رجل أمّي، لم يقرأ ولم يكتب ولا نشأ في بلد علم وتشريع، ولا في مدينة ذات حضارة ومدنيّة أن يأتي بمثل ما في القرآن من هذه العلوم والمعارف تحقيقاً وكمالاً، مؤيداً بالحجج والبراهين بعد أن قضى معظم حياته لا يعرف شيئاً عنها، ولم ينطق بقاعدة او أصل منها، ولا حكم بفرع من فروعها إلا ان يكون ذلك وحياً من الله تعالى؟! وأحب أن أقتصر هنا على مثلٍ من هذه العلوم المتنوعة العديدة، وهو بحث (العقيدة في القرآن) وأن أقارن بين تعاليم الإسلام، وتعاليم اليهودية والنصرانية على عهد نزوله، ليتبين الصبح لذي عينين، وتظهر ضياء الحق الساطع، ونوره الباهر وكما قيل: (وبضدّها تتميّز الأشياء).

العقيدة الإسلامية:

جاء القرآن بعقيدة سمحة صافية، بيضاء نقيّة، في ذات الله تبارك وتعالى، وفي حق رسله الكرام، فالله رب العالمين واحد أحد، فرد صمد، ليس له والد ولا ولد، له جميع صفات الكمال، ومنزّه عن جميع صفات النقص: (لا ذاته تشبهها الذوات: ولا حكمت صفاته الصفات) **﴿ليس كمثله شيء وهو السميعُ البصير﴾**[1] وهو جلّ وعلا قيّوم، لا تأخذهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، ولا يشغله شأن عن شأن **﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحتَ الثرى﴾**[2].. هو الخالق المتفرد بالخلق والايجاد، وبيده ناصية العباد، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وهو على كُل شيء قدير، الكلّ خلقه والجميع عبيده **﴿إنْ كلّ منْ في السموات والأرض إلاّ آتي الرّحمن عبداً﴾**[3] إقرأ إن شئتَ هذه الآيات الرائعة في صفات الله عزّ وجل:

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة طه، الآية: ٦.

(٣) سورة مريم، الآية: ٩٣.

١ - ﴿إنّ إلهكُمْ لواحدٌ * ربّ السموات والأرض وما بينهما وربّ المشارق﴾ [١].

٢ - ﴿إنّ ربكُم الله الذي لا إله إلاّ هوَ وسعَ كلّ شيء علماً﴾ [٢].

٣ - ﴿قُل ادعو الله أو ادعُوا الرّحمٰن أياً ما تدعُو فلهُ الأسماءُ الحُسنى، ولا تجهرْ بصلاتِكَ ولا تُخافِتْ بها وابتَغِ بينَ ذلك سبيلاً * وقُلِ الحمدُ للهِ الّذي لم يتّخذْ ولداً ولم يكُنْ لهُ شريكٌ في المُلكِ ولم يكُنْ لهُ وليٌّ منَ الذلّ وكبّرهُ تكبيراً﴾ [٣].

٤ - ﴿يا أيها النّاسُ أنتُمُ الفُقراءُ إلى الله، واللهُ هوَ الغنيّ الحميد * إنْ يشأ يُذهبكُمْ ويأتِ بخلقٍ جديد * وما ذلكَ على اللهِ بعزيز﴾ [٤].

العقيدة اليهودية:

وضل اليهود بعد موسى فعبدوا بعلاً، وزعموا أن لله ابناً هو العزير وشبهوا الله بالإنسان فزعموا انه تعب من خلق السموات والأرض فاستراح يوم السبت واستلقى على قفاه، وركبوا رؤوسهم فقالوا إنه - جلّ وعلا - ظهر في صورة إنسان وصارع اسرائيل فلم يستطع أن يغلبه ولم يتخلص منه الرب حتى باركه وذربته فأطلقه عند ذلك يعقوب، وادعوا انهم الشعب المختار من بين الشعوب، وأنهم ابناء الله وأحباؤه، وأن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس، وان النار لن تمسّهم إلا أياما معدودة، هي مدة عبادتهم العجل أربعين يوماً، كما افتروا على السيد المسيح (عيسى) فزعموا أنه ابن زنى، وأن أمه زانية، وأنهم صلبوه ليطهّروا بني اسرائيل من هذه الجريمة الشنيعة، كلّ هذا وأمثاله كثير من اباطيل واضاليل اليهود، جاء القرآن هادماً لها، وجرياً

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٤، ٥.

(٢) سورة طه، الآية: ٩٨.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ١١٠، ١١١.

(٤) سورة فاطر، الآيات: ١٥ - ١٧.

عليها، فكيف يزعمون أن القرآن نسخة عن التوراة؟

العقيدة النصرانية:

وضل النصارى فزعموا ان لله ولداً، وذهبوا الى عقيدة معقدة من الايمان بالتثليث (الأب، والابن، وروح القدس) وسموها بالأقانيم، فعيسى هو (الاقنوم) الثاني من الثالوث الالهي الذي هو عين الأول والثالث، وكل منها عين الآخر، الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، وخلعوا على رجال كهنوتهم ما هو حق لله وحده من التشريع والتحليل والتحريم، وزعموا أن (ابن الإله) صلب ليخلص الإنسان من خطيئته ويطهّره من أوزاره، والأعجب من هذا أن كثيرين منهم يعتقدون بأن (عيسى بن مريم) هو الله نزل الى الأرض بصورة بشر، إلى غير ذلك من الأباطيل والمخازي التي نسبوها إلى الله تعالى ﴿تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً﴾[1].

فانظر مدى البون الشاسع بين الحق الذي جاء به القرآن، وبين الباطل الذي جاء به هؤلاء، وهؤلاء، على أن القرآن الكريم لم يكتف بسرد هذه الأباطيل والإخبار بها عن تحريف أهل الكتاب، بل ردّ على أولئك ببراهينه الساطعة، وأدلّته القاطعة، استمع إليه وهو يقول عن أهل الكتاب (النصارى) ﴿**يا أهْلَ الكِتابِ لا تَغْلُوا في دِينِكُمْ، ولا تقُولُوا على الله إلاّ الحَقّ، إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ رسُولُ الله وكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مريم وروح مِنْهُ، فآمِنوا بالله ورُسُلِه، ولا تقولُوا ثلاثة، انتَهُوا خيراً لكُمْ، إنّما الله إله واحدٌ، سُبحانَهُ أنْ يكونَ لهُ ولَدٌ، لهُ ما في السّمواتِ وما في الأرضِ وكَفى بالله وكيلاً * لنْ يَسْتَنْكِفَ المسيحُ أنْ يكونَ عبْداً لله ولا الملائكةُ المقَرّبون، ومَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِه ويَسْتَكْبِر فسَيَحْشُرُهُمْ إليه جَميعاً**﴾[2].

واستمع اليه وهو يتكلم عن أهل الكتاب (اليهود) فيقول:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٣.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٧١، ١٧٢.

﴿فبما نقضهم ميثاقهم، وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم قلوبنا غلف، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً * وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾[1]. ولقد صرح القرآن بالتحريف الذي وقع عند أهل الكتاب في (التوراة والانجيل) وبيّن ان مهمة الرسول إنما هي في تصحيح ما ارتكبه أهل الكتاب من الكذب والبهتان، وفي كشف ما أخفوه من آيات الله في التوراة والانجيل ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾[2]. فهل بعد هذا البرهان من حجة أوضح على صدق سيد المرسلين ويرحم الله (البوصيري) حيث يقول:

(كفاك بالعلم في الأمي معجزة ... في الجاهلية والتأديب في اليتم)

٩ ـ وفاؤه بحاجات البشر:

وهذا الوجه من وجوه الإعجاز ظاهر جلي، يدركه كل متأمل في شريعة الإسلام، فقد جاء القرآن الكريم بهدايات تامة كاملة، شاملة واسعة، تفي بحاجات البشر في كل زمان ومكان ويتجلى ذلك اذا استعرضت المقاصد النبيلة التي رمى إليها القرآن في هدايته وارشاده وهي بإيجاز: ١ ـ اصلاح الافراد ٢ ـ اصلاح المجتمعات ٣ ـ إصلاح العقائد ٤ ـ إصلاح العبادات ٥ ـ إصلاح الاخلاق ٦ ـ إصلاح الحكم والسياسة ٧ ـ أصلاح الشؤون المالية ٨ ـ اصلاح الشؤون الحربية ٩ ـ اصلاح

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٨

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٥، ١٦

شريعـــة الله للإنســـان تبـــيان وكـل شيء سوى القـرآن خسرانُ[1]

١٠ ـ تأثير القرآن في القلوب:

ومن وجوه إعجاز القرآن ذلك التأثير البالغ الذي أحدثه في قلوب أتباعه وأعدائه، حتى لقد بلغ من شدة التأثير ان المشركين أنفسهم كانوا يخرجون في جنح الليل يستمعونَ إلى تلاوة القرآن من المسلمين، وحتى تواصوا فيما بينهم الا يستمعوا الى القرآن، وان يرفعوا أصواتهم بالضجيج حينما يتلوه محمّد لئلا يؤمن به الناس ﴿وَقالَ الذينَ كفرُوا لا تَسمعُوا لهذا القُرآنِ والغَوا فيهِ لعلّكُمْ تَغلبون﴾[2].

ولقد بلغ من تأثير القرآن في القلوب ان يفيء الى ظلاله أشد الناس عداوة له، وأعظمهم عناداً، فيسلم كثير من هؤلاء الزعماء، وعلى رأسهم (عمر بن الخطاب) و (سعد بن معاذ) و (أسيد بن حضير) وغيرهم من القادة والرؤساء، هذا هو عمر بن الخطاب الذي يبلغ من شدة قسوته على المسلمين أن يقول فيه احدهم (والله لن يسلم حتى يسلم حمار الخطاب) والذي يبلغ من شدة عدائه ان يتقلد سيفه بالظهيرة ثم يخرج ليفتش عن محمد ﷺ ليقتله ثم لا يأتي المساء إلا وقد رجع معتنقاً للإسلام بسبب بضع آيات سمعها في بيت اخته من (سعيد بن زيد) والقصة مشهورة وتأمل كيف أسلم (سعد بن معاذ) سيد قبيلة (الخزرج) هو وابن أخيه (أسيد بن حضير). تروي كتب السيرة ان رسول الله ﷺ حين كان في مكة جاءه وفد المدينة الذين بايعوه بيعة العقبة فأرسل معهم مبعوثين جليلين يعلّمانهم الإسلام والقرآن وهما (مصعب بن عمير) و (عبد الله بن أم مكتوم)، فلما وصلا المدينة أخذا يعلمان الناس القرآن، فبلغ ذلك (سعد بن معاذ) سيد القبيلة فقال لابن اخيه (أسيد بن حضير) ألا تذهب إلى هذين الرجلين، اللذين جاءا يسفّهان ضعفاءنا فتنهاهما وتزجرهما عن هذا الضيع؟ فسار إليهما

---

(١) من قصيدة للأستاذ وليد الاعظمي.

(٢) سورة فصلت، الآية ٢٦.

(أسيد) فلما انتهى إليهما قال لهما: ما جاء بكما جئتما تسفّهان ضعفاءنا؟ ثم توعدهما وهدّدهما فقال: اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة؟ فقال له (مصعب) رضي الله عنه: أوَ تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره، فجلس أسيد وجعل مصعب يقرأ وهو يسمع، فما انتهى من مجلسه حتى أسلم، ثم كرّ راجعاً إلى سعد فقال له، والله ما رأيت بالرجلين بأساً، وأخفى أمامه إسلامه، فغضب (سعد) وقام بنفسه ثائراً مهتاجاً، فقال لهما: ما جاء بكما جئتما تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا، فقال له مصعب: أوَ تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته منا وإن كرهته كففنا عنك ما تكره، فقال أنصفتنا، فجعل مصعب يتلو القرآن عليه وسعد يستمع، يقول (مصعب): والله لقد كان وجه سعد يشرق بالإيمان وهو يستمع القرآن فما انتهى مصعب من القراءة حتى أعلن سيد الأوس إيمانه، ثم كرّ راجعاً فجمع قبيلته وقال لهم: كيف تعدونني فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا، فقال لهم سعد: كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تسلموا بمحمد، فدخلوا جميعاً في الإسلام.. رضي الله عن سعد وأرضاه!!

هكذا كان تأثير القرآن في قلوب الأولياء والأعداء، ولا تنس قصة (الوليد بن المغيرة) و(عتبة بن ربيعة) وغيرهما ممن تأثروا بالقرآن، ولولا حبّ الزعامة، ولولا حبّ الجاه والسلطان لدخلوا جميعاً في دين الله، ولكن الهداية بيد الله ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (١) ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٢).

ذكر صاحب تفسير المنار أن فيلسوفاً من فلاسفة فرنسا ألف كتاباً ردّ فيه ما زعمه دعاة النصرانية من أن محمداً ﷺ لم يأت بمثل آيات (موسى وعيسى) عليهما السلام، ولم يكن له من الآيات الخوارق ما كان لمن قبله فقال ذلك الفيلسوف: إنّ محمداً كان يقرأ القرآن خاشعاً مولّهاً مذلّلاً، صادعاً ومتضرعاً فيفعل في جذب القلوب إلى الإيمان به فوق ما كانت تفعله جميع آيات الأنبياء السابقين، انظر تفسير المنار.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٣

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥

وذكر الرافعي، كلمة قيمة في كتابه (إعجاز القرآن) هذه الكلمة نقلها عن الامير شكيب ارسلان: «أن (لوثير) و(كلفين) المصلحين المعروفين في التاريخ المسيحي، ذكرا مرّة امام (فولتير) فيلسوف فرنسا فقال: إنهما لا يليقان حذاءين لنعال محمد ﷺ».

١١ ـ سلامته من التناقض:

وأخيراً فإن من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم سلامته من التناقض والتعارض خلافاً لجميع كلام البشر وصدق الله حيث يقول **﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾**[1]. هذه بعض وجوه الإعجاز في القرآن وهناك وجوه أخرى ضربنا عنها صفحاً خشية التطويل، ولا يزال الزمن يكشف عن أسرار إعجاز القرآن، فكلما تقدّم الزمن تجلّت نواحٍ من نواحي إعجازه، وقام البرهان القاطع أنه تنزيل الحكيم الحميد، ومع ذلك فإن هذه الأسرار التي ذكرها العلماء إن هي إلا قطرة من بحر علوم القرآن، ومهما اتسع القول وعظم البيان، فإن كلام الله تعالى لا يحيط به أحد، كما لا يحيط أحد بعظمة ذاته، وجليل صفاته!!

دفع شبهة القول بالصرفة:

وإذ قد انتهينا من وجوه إعجاز القرآن الكريم نرى لزاماً علينا أن ندفع تلك الشبهة التي ذهب إليها بعض المعتزلة وبعض الشيعة وهي (شبهة القول بالصّرفة) وخلاصتها: أن الله عزّ وجلّ صرف العرب عن معارضته على حين أنه لم يتجاوز في بلاغته المستوى الذي يعجز عنه البشر، ولولا أن الله صرف هممهم عن معارضته لاستطاعوا أن يأتوا بمثله.. الخ. فأنت ترى أصحاب هذا القول يذهبون إلى ان القرآن ليس معجزاً وإنما كان إعجازه بسبب أمرين:

الاول: الصارف الإلهي الذي زهدهم في المعارضة، فكسلوا وقعدوا.

الثاني: العارض المفاجيء الذي عطّل مواهبهم البيانية وقدرتهم البلاغية.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

وهذا القول - بشقّيه - باطل، لا يثبت أمام البحث، ولا يتفق مع الواقع وذلك لعدة أسباب:

أولاً: لو كان هذا القول صحيحاً لكان الإعجاز في (الصّرفة) لا في القرآن نفسه وهذا باطل بالإجماع.

ثانياً: لو صحّ القول بالصّرفة لكان ذلك (تعجيزاً) لا (إعجازاً) لأنه حينئذ يشبه ما لو قطعنا لسان إنسان ثم كلفناه بعد ذلك بالكلام، فهذا ليس من باب العجز وإنما هو من باب التعجيز.

(ألقاه في اليمّ مكتوفاً وقال له إيّاك إيّاك أن تبتلّ بالماء)

ثالثاً: لو كان هناك صارف زهدهم في المعارضة من (كلٍ أو ملل) لما وقفوا في وجه نبيّ الإسلام، ولما آذوه وأصحابه، ولما عذّبوا المسلمين وشرّدوهم، ولما قاطعوا الرسول وعشيرته وحاصروهم في الشّعب حتى أكلوا ورق الشجر، ولما فاوضوه وساوموه على أن يترك الدعوة ثم اضطروه الى الهجرة هو وأصحابه الكرام، إلى غير ما هنالك من دوافع وبواعث جعلتهم يسلكون كل سبيل للقضاء على الإسلام.

رابعاً: لو كان هناك عارض مفاجيء عطّل مواهبهم البيانية لأعلنوا ذلك في الناس، ليلتمسوا العذر لأنفسهم، وبالتالي ليقللوا من شأن القرآن، ولكانوا بعد نزوّل القرآن أقل فصاحة وبلاغة منهم قبل نزوله، وهذا باطل واضح البطلان.

خامساً: لو كان هذا العارض المفاجيء صحيحاً لأمكننا نحن الآن، وأمكن المشتغلين بالأدب العربي في كل عصر أن يعارضوا القرآن، وأن يتبينوا الكذب في دعوى إعجازه. وكل هذه الأشياء باطلة فهل يرضى عاقل لنفسه ان يقول بعد ذلك كله: إن العرب كانوا مصروفين عن معارضة القرآن ونبيّ القرآن، وأنهم كانوا مخلدين الى العجز والكسل زاهدين في النزول لذلك الميدان؟! وهل يصح لإنسان يحترم نفسه وعقله أن يصدّق بمثل هذا الافتراء القول بتعطيل المواهب والحواس) بعد أن يستمع الى شهادة ألدّ الأعداء من صناديد قريش وهو (الوليد بن المغيرة) حين قال كلمته المشهورة.. (والله لقد سمعت آنفاً كلاماً ليس من كلام بشر ليس بشعر ولا نثر ولا

كهانة، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن اسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى) والفضل ما شهدت به الأعداء.

وأختم هذه الكلمة بما ذكره العلاّمة القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) حيث قال: (فهذه عشرة وجوه ذكرها علماؤنا رحمهم الله في إعجاز القرآن)، وهناك قول آخر ذكره النظّام: أن وجه الإعجاز هو المنع من معارضته، والصّرفة عند التحدي بمثله، وان المنع والصّرفة هو المعجزة دون ذات القرآن، وذلك أن الله تعالى صرف هممهم عن معارضته مع تحديهم بأن يأتوا بسورة من مثله، وهذا فاسد، لأن اجماع الأمة أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرفة هو المعجز لخرج القرآن ان يكون معجزاً[1]. انتهى.. والصحيح ان الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في عجزهم عن الإتيان بمثل سورة من أقصر سور القرآن مع التحدّي اللاذع.

هل حاول احد معارضة القرآن؟

أجمع رواة التاريخ والآثار، على ان اساطين البلغاء، وفحول الشعراء من مشركي العرب لم تحدثهم أنفسهم بمعارضة القرآن، ولم ينقل عن احد منهم أنه حاول ان يأتي بمعارضة للقرآن، مع شدة حرصهم على صدّ الناس عن الإسلام، والتكذيب برسالة محمد عليه الصلاة والسلام.. ولكن نقل عن بعض السفهاء الحمقى، انهم حاولوا معارضة القرآن، فكان ما أتوا به لا يخرج عن أن يكون محاولات مضحكة، أخجلتهم امام البشر، وجعلتهم اضحوكة لدى العقلاء، فباءوا بغضب من الله وسخط من الناس، وكان مصرعهم هذا كسباً جديداً للحق، وبرهاناً ناصعاً على أن القرآن كلام الله الذي لا يستطيع معارضته إنسان فمن أولئك:

أ ـ (مسيلمة الكذّاب) الذي أدّعى النبوة، وزعم انه شريك لرسول الله في شأن النبوة وقد كتب إليه في السنة العاشرة للهجرة يقول: (اما بعد، فإني قد شوركت في

---

(١) أنظر تفسير القرطبي: ج ١ ص ٧٥

الأرض معك، وإنما لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها، لكن قريشاً قوم يعتدون..!)

وقد زعم (مسيلمة) أن له قرآناً نزل عليه من السماء، وبأتيه به ملك يسمى (رحمن)، وها نحن ننقل طائفة من أقواله وهذيانه، ليظهر كذب هذا الأحمق الدجّال، ويتّضح امره، فكفاه ذلك الوصف أنه كذاب.

قال أخزاه الله معارضاً سورة العاديات:

(والطاحنات طحناً، والعاجنات عجناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً. واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً.. لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر.. ريفكم فامنعوه، والمقبر فآووه! والباغي فناوئوه). وقال: (والشاء وألوانها، وأعجبها السود وألبانها، والشاة السوداء، واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المذق فما لكم لا تمجعون).

ومن قرآنه المفترى: (الفيل ما الفيل، وما ادراك ما الفيل، له ذنب وبيل، وخرطوم طويل...) الخ. وقوله (يا ضفدع بنت ضفدعين، نقي ما تنقين، نصفك في الماء ونصفك في الطين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين).

وقد زعم انه عارض سورة الكوثر فخرج إلى الناس بهذا الهذيان:

(إن أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر، إن شانئك هو الكافر).

وكل كلامه على هذا النمط واهٍ سخيف لا ينهض ولا يتماسك، وأنت خبير بأن مثل ذلك الإسفاف ليس من المعارضة في قليل ولا كثير، يقول (الرافعي) رحمه الله: إن مسيلمة لم يرد أن يعرض للقرآن من ناحية (الصناعة البيانية) وإنما اراد أن يأخذ سبيله الى استهواء قومه من ناحية اخرى ظنها اهون عليه وأقرب تأثيرا في نفوسهم، وذلك أنه رأى العرب تعظّم الكهّان في الجاهلية، وكانت عامة أساليب الكهّان من هذا السجع القلق، الذي يزعمون انه من كلام الجن كقولهم: (يا جليح، امر نجيح، رجل فصيح، يقول لا إله إلا الله) فجعل يسجع ليوهم أنه يوحي إليه، على أنه لم يفلح في هذه الحيلة إذ كان أشياعه يعرفونه بالكذب والحماقة، ويقولون: إنه لم يكن في تعاطيه

الكهانة حاذقاً، ولا في دعوى النبوة صادقاً، وإنما كان أتباعهم إياه على حد قول قائلهم: كذّاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر..).

ب ـ ومنهم (الاسود العنسي) ادّعى النبوة في اليمن، وكان يزعم ان الوحي ينزل عليه فيخفض رأسه الى الأرض ثم يرفعه فيقول: قال لي كذا وكذا ـ يعني شيطانه ـ الذي يوحي إليه، وكان جباراً ولكنه كان فصيحاً معروفاً بالكهانة والسجع والخطابة والشعر والنسب، ولم يذكر أنه حاول المعارضة للقرآن وإنما اكتفى بدعوى النبوة وبنزول الوحي عليه ﴿وإنّ الشياطينَ ليُوحونَ إلى أوليائهم﴾[1].

جـ ـ ومنهم (طُليحة بن خويلد الأسدي) ادّعى النبوة، وكان يزعم ان (ذا النون) يأتيه بالوحي ولكنه لم يدّع لنفسه قرآنا لأن قومه كانوا من الفصحاء، ولكنهم تابعوه عصبية وطلباً للجاه والشهرة، وقد ذكر صاحب (معجم البلدان) أن له كلاماً كان يزعم أنه نزل عليه بالوحي ولم يظفر من كلامه إلا على هذه المقالة (إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم، وقبح أدباركم شيئاً، فاذكروا الله قياماً، فإن الرغوة فوق الصريح) يريد لا تركعوا ولا تسجدوا واكتفوا بالصلاة قياماً وبذكر الله في حالة القيام، وقد أرسل له أبو بكر جيشاً بقيادة خالد بن الوليد فلما التقى الجمعان، قتل عدد كبير من أتباعه، ونزل هو بكساء ينتظر الوحي، فقال له (عيينة) هل أتاك بعد؟ فقال وهو من تحت الكساء، لا والله ما جاء بعد، فقال له عيينة: لقد تركك أحوج ما كنت إليه، ثم قال: يا بني فزارة هذا كذّاب ما بورك لنا وله فيما يطلب، ثم انهزم طليحة ولحق بنواحي الشام، ويقال أنه أسلم بعد ذلك وكان له في القادسية بلاء حسن.

د ـ ومنهم (النضر بن الحارث) وهو من صناديد قريش، ورؤساء الكفر والضلالة، وهو لم يدّع النبوّة ولا الوحي ولكنه زعم أنه يعارض القرآن، فلفّق أخباراً من حوادث الفرس وملوك العجم، وكان يجلس إلى قريش فيحدثهم بهذه الأساطير ثم يقول لهم: هذا خير مما أنزل على محمد.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢١.

هـ ـ ويروى أن (أبا العلاء المعرّي) و (المتنبي) و (ابن المقفع) حاولوا معارضة القرآن ولكنهم ما كادوا يبدؤون هذه المحاولة حتى خجلوا واستحيوا فكسروا الأقلام ومزقوا الصحف، وقد ذكرنا فيما مضى محاولة (ابن المقفع) وأنه بعد أن عزم على المعارضة وبدأ بها فعلاً، سمع صبياً يقرأ قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي، وَغِيضَ الْمَاءُ، وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ، وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1] فمزق ما جمع واستحيا من إظهاره أمام الناس بعد أن قال قولته المشهورة: هذا والله ما يستطيع البشر أن يأتوا بمثله. وهذه القصة عن (ابن المقفع) يذكرها (الرافعي) عليه رحمة الله ثم يعقب عليها بقوله:

«إن ابن المقفع من أبصر الناس باستحالة المعارضة، لا لشيء من الأشياء إلا لأنه من أبلغ الناس وإذا قيل لك: إن فلاناً يزعم إمكان المعارضة ويحتج لذلك وينازع فيه، فاعلم أنّ فلاناً في الصناعة أحد رجلين اثنين: إمّا جاهل يصدّق في نفسه، وإما عالم يكذب على الناس، ولن يكون ثالث ثلاثة»[2] فالرافعي ينكر صحة هذه الرواية عن (ابن المقفع) كما ينكرها على (المعرّي فكلاهما في نظره باطل وافتراء عليها.

و ـ وتحدثنا الأيام القريبة أن زعماء (البهائية والقاديانية) وضعوا كتباً يزعمون أنهم يعارضون بها القرآن ثم خافوا أو خجلوا أن يظهروها أمام الناس، فأخفوها على أمل أن يأتي الوقت المناسب فيخرجوها بعد أن يكثر الجهل ويطيش العقل.

شبهات حول إعجاز القرآن والرد عليها:

الشبهة الأولى: يقول أعداء الإسلام في معرض الطعن في القرآن، وفي نبيّ القرآن: إنّ محمداً ﷺ قد تلقى هذا القرآن من (بحيرا الراهب) ونسبه إلى الله عزّ وجل ليوهم البشر قدسيته. والجواب: أن هذه قرية ما فيها مرْية، وهؤلاء الخبثاء من الصليبيّين وأعوانهم من الملاحدة، إنّما يروّجون مثل هذه الأباطيل ليشوّشوا على

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٢) أنظر اعجاز القرآن للرافعي

المثقفين من أبناء المسلمين دينهم ويفسدوا عليهم عقائدهم بأمثال هذه الشبهات الافتراءات، وهذه الشبهة باطلة لعدة أمور:

أولا: ان الرسول لم يثبت عنه أنه سافر إلى الشام إلاّ مرتين: مرة في صغره مع عمه (أبي طالب) ومرة في شبابه مع (ميسرة) غلام السيدة خديجة، ولم يحدثنا التاريخ إنه سمع من (بحيرا) أو تلقى عنه درساً واحداً، وإنما غاية الأمر أن (بحيرا الراهب) رأى سحابة تظلّل الرسول، فحدّث عمّه بأنّ هذا الغلام سيكون له شأن، ثم طلب منه أن يعيده إلى مكة خوفاً عليه من اليهود، ثم هل يعقل والرسول في سن الصغر أن يتلقى هذه العلوم والمعارف؟ أو يأتي بمثل هذا القرآن المعجز وهو لم يتجاوز بعد سن العاشرة؟ وفي المرة الثانية كان غرضه التجارة ولم يثبت أنه ألتقى بأحدٍ من الرهبان في هذه السفرة، فمن أين لهم هذا البهتان والافتراء؟!.

ثانياً: من المستحيل عقلاً على أي إنسان أن يصبح في هذه المرتبة (أستاذ العالم) لمجرد مصادفته لراهب من الرهبان مرتين مع أنه كان في الأولى صغيراً وفي الثانية تاجراً، وأن يأتي بهذا الكتاب المعجز وهو أميّ لمجرّد التقائه بأحد الرهبان مرة أو مرتين.

ثالثاً: لو كان هذا الراهب المسمّى (بحيرا) هو مصدر هذا القرآن، لكان هو الأحرى بالنبوءة والرسالة، أو لكانت عبقريته تفوق عباقرة الدنيا، لأنه أتى بكلام أعجز فيه الأولين والآخرين.

رابعاً: نقول إن المشركين من كفّار قريش كانوا أعقل وأسلم تفكيراً من هؤلاء المجانين لأنهم - مع شدة حرصهم على تكذيب الرسول وتبهيته - لم يقبلوا على أنفسهم مثل هذا الكذب الرخيص، ولم يفكرّوا أن يقولوا إنه تعلّم من (بحيرا الراهب) لمجرد الالتقاء به مرتين لأن العقل لا يستسيغ ذلك.

الشبهة الثانية: يقولون هذا القرآن من تعليم (جبر الرومي) تعلّم منه الرسول في مكة.. الخ. والجواب أن هذه الشبهة قد تولى الله عزّ وجل الردّ عليها بأبلغ حجة

وأنصع بيان فقال عزّ من قائل: ﴿ولَقَدْ نَعْلَمُ أنهمْ يَقُولونَ إنّما يعلمه بَشَرٌ، لِسانُ الّذي يُلْحِدُون إلَيْهِ اعْجَميّ، وهذا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِين﴾[1]. فهذا الرجل الذين ينسبون إليه تعليم محمد ﷺ هو رومي أعجمي لا يعرف اللسان العربيّ فكيف يعلمه القرآن؟ وقد كان (جبر) هذا حدّاداً يمتهن الحدادة، وقد أسلم، فكان النبي ﷺ كثيراً ما يمر عليه فيجلس عنده، فقال المشركون: والله ما يعلّم محمداً هذا القرآن إلا جبرٌ الرومي، وكان سيّده يضربه ويقول له: أنت تعلّم محمداً، فيقول: لا والله، بل هو يعلمني ويهديني.. ومن الغريب أنّ هذه التهمة قد لاقت استحساناً عند بعض الأفراد مع أنها في منتهى الغرابة والهزل، إذ كيف يكون الأستاذ عبداً حداداً أعجمياً، لا يفقه شيئاً من اللغة العربية ثم يعلّم الرسول لغة الضاد!! وهل من المعقول أن يكون هذا الروميّ الأعجمي مصدراً لهذا القرآن الذي هو أبلغ نصوص العربية، بل هو معجزة المعجزات ومفخرة العرب واللغة العربية!! ولهذا كان ردّ القرآن مفحماً وقاطعاً ﴿لِسانُ الذين يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمي، وهذا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِين﴾.

الشبهة الثالثة: إن محمداً عبقرية فذّة، وهذه العبقرية الخارقة، لماذا لا يمكن أن تكون هي منبع هذه الأخبار، وأن يكون هذا القرآن من تأليف محمد وترتيبه لأنه ذو شخصية رائعة؟!.

والجواب: إن هذا الكلام إنما يصدر عن جاهل لا يعرف شيئاً عن حياة النبي ﷺ ولا عن تاريخ عشيرته وقومه، فالرسول ﷺ عاش أربعين سنة بين قومه وهو يشار إليه بالبنان، في صدقه وأمانته ونبله وفضله، حتى كان المشركون يلقبونه بـ (الصادق الأمين) فهل يعقل بعد هذه الحياة الشريفة الطاهرة، أن يأتي بأعظم بهتان فيزعم أن هذا القرآن من عند الله، وأنه رسول الله؟! وبداية الإنسان تدل على نهايته فكيف يتفق هذا مع تاريخ الرسول الشريف الطاهر، وحياته الفاضلة العطرة، وحين سأل (هرقل) ملك الروم أبا سفيان عن رسول الله. هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ أجابه أبو سفيان بقوله: لا، بل هو عندنا الصادق الأمين، فقال له

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

هرقل: لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله. ومن ناحية ثانية فقد ثبت في التاريخ ثبوتاً قاطعاً أن محمداً ﷺ كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، وقد أكد هذا القرآن بقوله عز من قائل ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[1] فمن أين لرسول الله معرفة أخبار الأولين من الأنبياء والمرسلين؟ ومن أين له معرفة دقائق التاريخ وأحوال الأمم الغابرة وأنباء من سبق من البشر على وجه الدقة والتفصيل، وهو بعد لم يقرأ كتاباً، ولم يدرس علماً، ولم يتلق هذه الأنباء عن أحد من علماء أهل الكتاب؟!.

ثم مهما كانت عبقرية الإنسان فذّة، ونبوغه عظيماً، وذكاؤه وافراً فمن أين له معرفة أمور الغيب، وأحوال المستقبل، وهل يمكن لبشر مهما سما أن يخبر عن الغيب بحيث لا يشذ عن أخباره واحدة من هذه المغيبات إلا أن يكون رسولاً صادقاً يوحى إليه من عند الله؟! إن العقل ليجزم بأن هذا ليس في طوق البشر، ومهما بلغت العبقرية من النبوغ والذكاء، ومهما كانت الشخصية قوية ومثالية، فلن تستطيع أن تخرق أستار الغيب أو تخبر بما ليس في مقدورها وصدق الله ﴿**كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا..**﴾[2].

الشبهة الرابعة: يقولون: إن عجز البشر عن الإتيان بمثل هذا القرآن لا يدلّ على أنه كلام الله، وما هذا إلاّ كمثل عجزهم عن الإتيان بمثل (الكلام النبوي) فهل يكون كلام الرسول من عند الله؟ أو يقال إنه كلام الله؟.

والجواب: أن الحديث النبوي إن عجز عامة الناس عن الإتيان بمثله فلن يعجز أحد الخاصة عن الإتيان بمثل بعضه، ولو بمقدار حديثٍ واحدٍ أو سطرٍ واحدٍ من كلامه، وكلام الرسول ﷺ وإن كان في الذروة العليا من الفصاحة والبلاغة إلا أنه لا يخرج عن كونه كلام بشر، وقد يشتبه كلام البشر بعضهم مع بعض، حتى لنجد تشابهاً بين كلام النبوّة وكلام بعض الخواص من الصحابة ونسمع الحديث فيشتبه علينا أمره:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٩٩.

أهو مرفوع ينتهي إلى النبي ﷺ ؟ أم هو موقوف عند الصحابي اي من كلامه؟ أم مقطوع عند التابعي؟ ولا نستطيع أن نميّز حتى يرشدنا السند إلى عين قائله. ومن أوتيَ حاسه بيانية يدرك هذا الشبه كثيراً، وقد يلتبس علينا الأمر حين نسمع كلاماً رائعاً بليغاً لأحد الفصحاء فنظنه من كلام الرسول ﷺ، فإذاً قد يكون هناك بعض الشبه بين كلام أفصح من نطق بالضاد وبين كلام بعض النبغاء، واستمع مثلاً إلى هذه الجملة الرائعة (المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء، وعوّدوا كل جسم ما اعتاد) فإنّ الإنسان إذا سمع هذه لم يستبعد أن تكون حديثاً لجمالها وصحتها وأسلوبها الأخّاذ، وربما جزم بأنها حديث شريف مع أنها ليست بحديث إنما هي من كلام طبيب العرب المشهور (ابن كلدة) وأما القرآن فذاك له شأن آخر لا يلتبس مع غيره من الكلام، ولن تستطيع أن تجد له شبيهاً أو نداً، لأن الذي صنعه على عينه لن تستطيع أن تجد له شبيهاً أو نداً، فكيف يقاس القرآن الكريم بالحديث الشريف في هذا المقام؟.

ثانياً: ومن ناحية ثانية لو كان هذا القرآن من تأليف محمد ﷺ لكان ينبغي أن يكون الأسلوب في (القرآن والسنة) واحداً ضرورة أنهما صادران عن شخص واحد، استعداده واحد، ومزاجه واحد، مع اننا نجد الفرق بينهما واضحاً، والبون شاسعاً، فأسلوب القرآن ضرب وحده تظهر عليه سمات الألوهية والربوبية التي تجل عن المشابهة والمماثلة، وأسلوب الحديث الشريف ضرب آخر، لا يجل عن المشابهة والمماثلة، بل هو محلّق في جو البيان بقدر الأساليب البشرية الرفيعة، ولا يستطيع بحال أن يصعد إلى سماء إعجاز القرآن، وهذا يدركه كل إنسان إذا ما قارن بين الأسلوبين بأبسط نظرة وصدق الله حيث يقول: ﴿**ولو أنّ ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدّهُ من بعده سبعةُ أبحرٍ ما نفدت كلماتُ الله إنّ الله عزيز حكيم**﴾[1] وصدق الله ﴿**قل لئن اجتمعت الإنسُ والجنّ على أنْ يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً**﴾[2].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

القسم الثاني

التفسير بالدراية (الرأي)

بعد أن تحدثنا عن التفسير بالرواية، ننتقل الآن إلى الحديث عن التفسير بالدراية، وهذا النوع يسمى عند علماء التفسير (التفسير بالرأي) أو التفسير بالمعقول، لأن المفسر لكتاب الله تعالى يعتمد فيه على اجتهاده، لا على المأثور المنقول عن الصحابة أو التابعين، بل يكون فيه الاعتماد على اللغة العربية، وفهم أسلوبها على طريقة العرب، ومعرفة طريقة التخاطب عندهم، وإدراك العلوم الضرورية، التي ينبغي أن يكون ملماً بها كل من أراد تفسير القرآن، كالنحو والصرف وعلوم البلاغة، وأصول الفقه، ومعرفة أسباب النزول، إلى غير ما هنالك من العلوم التي يحتاج إليها المفسّر، كما سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

معنى التفسير بالرأي:

المراد بالرأي هنا (الاجتهاد) المبني على أصول صحيحة، وقواعد سليمة متّبعة، يجب أن يأخذ بها من أراد الخوض في تفسير الكتاب، أو التصدي لبيان معانيه، وليس المراد به مجرد (الرأي) أو مجرد (الهوى) أو تفسير القرآن بحسب ما يخطر للإنسان من خواطر، أو بحسب ما يشاء. فقد قال القرطبي: من قال في القرآن بما سنح في وهمه، أو خطر على باله، من غير استدلال عليه بالأصول، فهو مخطيء مذموم، وعليه يحمل

الحديث الشريف « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار »[1].

وقد قال ﷺ : « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ »[2].

قال القرطبي رحمه الله في مقدمة تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) ما نصه :

فسّر حديث ابن عباس « ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » تفسيرين :

أحدهما : من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله .

ثانيهما : من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار .

وقد رجح القرطبي القول الثاني فقال : وهو أثبت القولين ، وأصحهما معنى . ثم قال : وأما حديث (جندب) فقد حمل بعض أهل العلم هذا الحديث على أنّ الرأي معنيّ به (الهوى) والمراد من قال في القرآن قولاً يوافق هواه ، لم يأخذه عن أئمة السلف فأصاب فقد أخطأ ، لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله ، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه .

وقال ابن عطية : ومعنى هذا أن يُسْأل الرجلُ على معنى في كتاب الله عز وجل ، فيتسور عليه (أي يهجم عليه) برأيه دون نظر فيما قال العلماء واقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول ، وليس يدخل في هذا الحديث ، أن يفسّر اللغويون لغته ، والنحويون نحوه ، والفقهاء معانيه وأحكامه ، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر ، فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه[3].

---

(١) الحديث رواه الترمذي عن ابن عباس ، ومعنى يتبوأ : أي ينزل ويحل .

(٢) الحديث من رواية أبي داود عن جندب .

(٣) تفسير القرطبي ، ج ١ ص ٣٢ .

أنواع التفسير بالرأي:

وعلى هذا يمكن تقسيم التفسير بالرأي إلى قسمين:

١ ـ تفسير محمود.

٢ ـ تفسير مذموم.

فالتفسير المحمود: ما كان موافقاً لغرض الشارع، بعيداً عن الجهالة والضلالة متمشياً مع قواعد اللغة العربية، معتمداً على أساليبها في فهم النصوص القرآنية الكريمة، فمن فسّر القرآن برأيه (أي باجتهاده) ملتزماً الوقوف عند هذه الشروط معتمداً عليها فيما يرى من معاني الكتاب العزيز، كان تفسيره جائزاً سائغاً، جديراً بأن يسمى (التفسير المحمود) أو التفسير المشروع.

وأمّا التفسير المذموم: فهو أن يفسّر القرآن بدون علم، او يفسّره حسب الهوى، مع الجهالة بقوانين اللغة أو الشريعة، أو يحمل كلام الله على مذهبه الفاسد، وبدعته الضالة، أو يخوض فيما استأثر الله بعلمه، ويجزم بأن المراد من كلام الله هو كذا وكذا، فهذا النوع من التفسير هو (التفسير المذموم) أو التفسير الباطل. وباختصار: فإن التفسير المحمود، ماكان صاحبه عارفاً بقوانين اللغة، خبيراً بأساليبها، بصيراً بقانون الشريعة.

والتفسير الباطل المذموم: ما كان منبعثاً عن الهوى، قائماً على الجهالة والضلالة. مثاله: ما ورد عن بعض الجهلة من ادعياء العلم في قوله تعالى ﴿**يومَ ندعو كلَّ أناسٍ بإمامهم**﴾[1] أن المراد بها أن الله تعالى ينادي الناس يوم القيامة بأسماء أمهاتهم ستراً عليهم. فقد فسر هذا الجاهل (الإمام) بالأمهات وظنّ أنّ الإمام جمع أمّ، مع أن اللغة العربية تأبى هذا، لأن جمع الأم أمهات قال تعالى ﴿**وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم**﴾[2] ولا يكون جمع الأم إماماً فإن ذلك فاسد لغة وشرعاً، والمراد بالإمام هنا (النبي) الذي

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣.

اتبعته أمته، أو كتاب الأعمال بدليل تتمة الآية: ﴿فمنْ أوتيَ كتابه بيمينه فأولئك يقرءونَ كتابهم ولا يظلمون فتيلا﴾[1].

فإذا لم يفهم الإنسان قواعد اللغة، ولا أصول العربية، خبط خبط عشواء، وكان عليل الرأي، سقيم الفهم، وكذلك من لم يفهم غرض الشرع، وقع في الجهالة والضلالة، كمن يأخذ بظاهر الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿ومنْ كان في هذه أعمى، فهوَ في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً﴾[2] فيحكم على كل أعمى بالشقاوة والخسران ودخول جهنم، مع أنّ المراد بالعمى ليس عمى البصر، وإنما هو (عمى القلب) بدليل قوله تعالى: ﴿فإنّها لا تعمى الأبصارُ، ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور﴾[3] وربما كان عمى البصر سبباً لسعادة الإنسان كما جاء في الحديث القدسي: (من ابتليته بحبيبته (يعني عينيه) فصبر عوّضته الجنّة).

وسنذكر بعض النماذج عن التفسير الباطل المذموم عند الكلام على غرائب التفسير فارجع إليه هناك.

أمهات التفسير:

والأمور التي ينبغي استناد الرأي إليها في التفسير، أمهاتها أربعة كما ذكرها (الزركشي) في كتابه البرهان، ونقلها السيوطي عنه في كتابه الإتقان ونحن نلخصها بإيجاز:

الأول: النقل عن الرسول ﷺ مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي في التفسير، فإنه في حكم المرفوع.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، مع ترك ما لا تحتمله لغة العرب.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.

الرابع: الأخذ بما يوافق الكلام العربي، ويدل عليه قانون الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبي عليه السلام لابن عباس في قوله: «اللّهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل»[1]

العلوم التي يحتاجها المفسّر:

يحتاج المفسر لكتاب الله تعالى، إلى انواع من العلوم والمعارف، يجب أن تتوفر فيه، حتى يكون أهلاً للتفسير، وإلاّ كان داخلاً في الوعيد السابق «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». وقد ذكر العلماء أنواع العلوم التي يجب توفرها في المفسّر، وأوصلها السيوطي في كتابه (الاتقان) إلى خمسة عشر علماً[2]، ونحن نوجزها فيما يلي:

١ ـ معرفة اللغة العربية وقواعدها (علم النحو، والصرف، وعلم الاشتقاق).
٢ ـ معرفة علوم البلاغة (علم المعاني، والبيان، والبديع).
٣ ـ معرفة أصول الفقه (من خاص، وعام، ومجمل، ومفصل.. الخ)
٤ ـ معرفة أسباب النزول.
٥ ـ معرفة الناسخ والمنسوخ.
٦ ـ معرفة علم القراءات.
٧ ـ علم الموهبة.

أما الأول: وهو اللغة وما يتعلق بها من نحو وصرف واشتقاق، فإنه ضروري للمفسّر، إذ كيف يمكن فهم الآية بدون معرفة المفردات والتراكيب وهل باستطاعة

---

(١) أنظر: الإتقان، ج ٢ ص ١٧٩.

(٢) عدّ السيوطي العلوم خمسة عشر وسردها على النحو التالي: أحدها: اللغة، الثاني: النحو، الثالث: التصريف، الرابع: الاشتقاق، الخامس: البيان، السادس: المعاني، السابع: البديع، الثامن: علم القراءات، التاسع: أصول الدين، العاشر: أصول الفقه، الحادي عشر: أسباب النزول، الثاني عشر: علم الناسخ والمنسوخ، الثالث عشر: علم الفقه، الرابع عشر: الأحاديث المبينة للمجمل والمبهج، الخامس عشر: علم الموهبة (الاتقان بايجاز).

أحد أن يفسر قوله تعالى: ﴿**للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر، فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم**﴾ [1] بدون أن يعرف المعنى اللغوي للإيلاء، والتربص،

قال الإمام مالك: (لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب، يفسر كتاب الله، إلا جعلته نكالاً).

وقال مجاهد: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالماً بلغات العرب».

فإذا لم يتفق اللفظ مع المعنى اللغوي كان باطلاً، كتفسير بعض الروافض قوله تعالى: ﴿**مرج البحرين يلتقيان**﴾ [2] أنهما علي وفاطمة، وقوله ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾ [3] يعني الحسن والحسين.

وكتفسير (فرعون) بالقلب في قوله تعالى: ﴿**اذهب إلى فرعون إنه طغى**﴾ [4] ويريد به قلب الإنسان القاسي، قال القرطبي: وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة، تحسيناً للكلام، وترغيباً للمستمع، وهو ممنوع لأنه قياس في اللغة، وذلك غير جائز، وهو أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي [5].

وعلم النحو ضروري للمفسّر، لأن المعنى يتغيّر بتغيّر الحركات تغيراً كبيراً، فقوله تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ [6] بنصب هاء الجلالة، ورفع همزة العلماء، والمعنى صحيح، لأنّ معنى الآية: الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم، فمن ازداد علماً بالله، ازداد منه خوفاً، ولو عكس فضم هاء الجلالة، ونصب همزة العلماء لفسد المعنى.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٦.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ١٩.
(٣) سورة الرحمن، الآية: ٢٢.
(٤) سورة طه، الآية: ٢٤.
(٥) تفسير القرطبي، ج ١ ص ٣٣.
(٦) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

قصة لطيفة:

ذكر القرطبي في تفسيره هذه القصة في عدم اللحن في القرآن، قال: «قدم أعرابي في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المدينة المنورة فقال: من يقرئني مما أنزل على محمد ﷺ؟ قال: فأقرأه رجل سورة (براءة) فقرأ عليه الآية الكريمة ﴿أنّ الله بريء من المشركينَ ورسولُهُ﴾[1] بالجر أي بجر اللام في (رسوله) بدل الضم فقال الأعرابي: أوقدْ بريء الله من رسوله؟ فإن يكن الله بريء من رسوله، فأنا أيضاً أبرأ من رسوله، فاستعظم الناس الأمر، وبلغ عمر مقالة الأعرابي، فدعاه فقال يا أعرابي؟ أتبرأ من رسول الله ﷺ؟

فقال يا أمير المؤمنين: إني قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني؟ فأقرأني هذا الرجل سورة (براءة) فقال: ﴿أنّ الله بريء من المشركين ورسوله﴾ فقلت: أوقد بريء الله من رسوله، إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه، فقال عمر: ما هكذا الآية يا أعرابي؟ قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ قال: ﴿أنّ الله بريءٌ من المشركين ورسُولُهُ﴾ فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برىء الله ورسوله منه، أبرأ من المشركين.. فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألاّ يقرىء الناس إلاّ عالم باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحو»[2].

ومعرفة علم الصرف والاشتقاق ضرورية أيضاً للمفسّر، حتى لا يخبط الإنسان خبط عشواء، قال الزمخشري: من بدع التفاسير قول من قال إنّ (الإمام) في قوله تعالى: ﴿يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم﴾[3] جمع أمّ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم، قال: وهذا غلط فاحش أوجبه جهل القائل بالتصريف فإن (أمّا) لا تجمع على إمام[4].

٢ ـ وأما علوم (المعاني والبيان والبديع) فضرورية لمن أراد تفسير الكتاب

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٢) تفسير القرطبي، ج ١ ص ٣٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٤) أنظر: الإتقان، ج ٢ ص ١٨١.

العزيز، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وذلك لا يدرك إلا بهذه العلوم، فمثلاً قوله تعالى ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ [1] أي أشربوا حبّ العجل فهو على حذف مضاف. ومثله ﴿واسأل القرية﴾ [2] المراد أهل القرية وقوله تعالى ﴿هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهنّ﴾ [3] ليس على الحقيقة وإنما هو استعارة فكما يستر اللباس العورة، ويزيّن الإنسان ويجمّله، كذلك الزوج والمرأة كل منهما كاللباس لصاحبه يزينه ويكمّله ويجمّله، وهو من روائع النظم، وبدائع الكلام، وإذا حمل الإنسان المعنى على ظاهره، فسد المعنى، كما يذكر أن (الفرنسيين) أرادوا ترجمة القرآن إلى لغتهم، فلما وصلوا إلى هذه الآية الكريمة ﴿هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن﴾ ترجموها بالظاهر ولم يدركوا السّر الدقيق فيها، فكانت الترجمة كالتالي (هنّ بنطلونات لكم، وأنتم بنطلونات لهن) لأن اللباس عندهم يسمى (البنطلون) وهكذا ساء فهمهم ولم يدركوا روعة تعبير القرآن. وقريب من هذا ما وقع لبعض الأعراب حين سمع قوله تعالى ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكمُ الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسود﴾ [4] أخذ عقالين أبيض وأسود وجعل يأكل وينظر إليهما حتى كادت الشمس أن تطلع، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك فقال له: إنّك لعريض القفا [5] إنما ذلك بياض النهار، وسواد الليل. وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة على الاستعارة والكناية والمجاز، ولا بد في فهمها من معرفة علم البيان والبديع مثل قوله تعالى عن سفينة نوح ﴿تجري بأعيننا﴾ [6] أي بحفظنا ورعايتنا، وقوله ﴿قدم صدقٍ﴾ [7] و ﴿لسان صدقٍ﴾ [8] و ﴿جناح الذلّ﴾ [9] كل ذلك وأشباهه يحتاج إلى فهم علوم البلاغة وأسرار البيان.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٥) عريض القفا: كناية عن البلاهة وسوء الفهم.

(٦) سورة القمر، الآية: ١٤.

(٧) سورة يونس، جزء من الآية: ٢.

(٨) سورة مريم، جزء من الآية: ٥٠.

(٩) سورة الإسراء، جزء من الآية: ٢٤.

وهكذا بقية العلوم من: (أصول الفقه، وأسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وعلم القراءات) كلّ ذلك مما يحتاج إليه المفسّر لكتاب الله تعالى، حتى لا يخطيء في الفهم، و لا تزلّ قدمه بسبب الجهل بهذه الأمور الضرورية.

وأما علم الموهبة: فيقصد منه العلم اللدني الرباني ﴿**وآتيناه**[1] **منْ لدُنّا علماً**﴾[2] الذي يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، ويفتح قلبه لفهم أسراره قال تعالى ﴿**واتقوا الله ويعلّمكم الله**﴾[3] فهو ثمرة التقوى والإخلاص، ولا ينالُ هذا العلمَ من كان في قلبه بدعة، أو كبر، أو حب للدنيا، أو ميلٌ إلى المعاصي قال الله تعالى:

﴿**سأصرفُ عنْ آياتيَ الذين يتكبّرونَ في الأرضِ بغيرِ الحقِ..**﴾[4] الآية، وما أجمل قول الشافعي رحمه الله:

«شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي»
«وأخبرني بأنّ العلمَ نورٌ ... ونور الله لا يُهدى لعاصي».

قال السيوطي: «ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء وليس في قدرة الإنسان، وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله، ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد. ثم قال: علوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له، فهذه العلوم التي ذكرناها هي كالآلة للمفسّر، ولا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسّر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه»[5].

وهذه الشروط التي ذكرها العلماء إنما هي لتحصيل أعلى مراتب التفسير وهناك معان عامة يفهمها الإنسان عند سماع اللفظ الكريم، فقد سهّل الله القرآن ويسّره، وأمر

---

(١) في القرآن: (وعلمناه) بدل (وآتيناه).
(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.
(٥) أنظر الإتقان، ج ٢، ص ١٨١.

بالتدبر والتذكر لكتابه المجيد ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾[1]؟ وذلك أدنى مراتب التفسير والله الموفق.

مراتب التفسير:

وقد قسّم المرحوم الشيخ محمد عبده التفسير إلى مرتبتين:

١ ـ مرتبة عليا.

٢ ـ ومرتبة دنيا.

أما المرتبة الأولى (العليا) فهي لا تتم إلاّ بأمور:

أحدها: فهم حقائق الألفاظ المفردة، التي أودعت في القرآن عن طريق استعمالات أهل اللغة.

ثانيها: معرفة الأساليب الرفيعة. وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته، مع التفطن لنكته ومحاسنه.

ثالثها: علم أحوال البشر، ومعرفة السنن الإلهية الكونية في تطور الأمم واختلاف أحوالهم، من قوة وضعف، وعز وذل، وإيمان وكفر.

رابعها: العلم بوجه عناية القرآن للبشرية، وما كان عليه العرب في الجاهلية من شقاء وضلال. فقد روي عن عمر أنه قال: «لا يعرف فضل الإسلام من لم يقرأ حياة الجاهلية».

خامسها: العلم بسيرة النبي ﷺ وأصحابه، وما كانوا عليه من علم وعمل، في الشؤون الدينية والدنيوية.

المرتبة الدنيا:

وأما أدنى مراتب التفسير: فهو أن يتبيّن بالإجمال ما يشربُ قلبه عظمة الله وتنزيهه

---

(١) سورة محمد الآية ٢٤ وسورة النساء الآية ٨٢.

ويصرف النفس عن الشر، ويجذبها إلى الخير، وهذه ميسرة لكل أحد كما قال تعالى: ﴿ولقدْ يسرنا القرآن للذكر، فهل منْ مدّكر؟﴾ (١).

أوجه التفسير:

روى السيوطي نقلاً عن ابن جرير من طرق متعددة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

التفسير أربعة أوجه:

١ ـ وجه تعرفه العرب من كلامها.

٢ ـ وتفسيرٌ لا يُعذر أحد بجهالته.

٣ ـ وتفسير يعرفه العلماء.

٤ ـ وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى.

(أقوال العلماء في جواز التفسير بالرأي)

بعد أن عرفنا معنى (التفسير بالرأي) وشروطه، نذكر الآن أقوال العلماء فيه، وأدلة كلٍ من المجيزين والمانعين له، حتى يظهر الحق أبْلج ساطعاً، مثل الشمس في رابعة النهار، فنقول ومن الله نستمد العون: المراد بالرأي هنا الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي معناه تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسّر لكلام العرب وأسلوبهم في الخطاب، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها وقد اختلف العلماء في جواز التفسير بالرأي على مذهبين:

المذهب الأول: عدم جواز التفسير بالرأي، لأنّ التفسير موقوف على السماع، وهو قول طائفة من العلماء.

المذهب الثاني: جواز التفسير بالرأي بالشروط المتقدمة، وهو مذهب جمهور العلماء.

---

(١) سورة القمر، الآية ١٧. انتهى من تفسير المنار بتصرف واختصار.

أدلة المانعين:

استدل المانعون للتفسير بالرأي بعدة أدلة نوجزها فيما يلي:

أولاً: إن التفسير بالرأي قول على الله بغير علم، وهو منهيّ عنه بقوله تعالى: **﴿وأنْ تقُولُوا على الله ما لا تعْلَمونَ﴾**[1].

ثانياً: ما ورد في الحديث الشريف من الوعيد الشديد لمن فسّر القرآن الكريم برأيه، وهو قوله ﷺ: «اتقوا الحديث عليّ إلاّ ما علمتم، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» رواه الترمذي.

ثالثاً: قوله تعالى **﴿وأنزلنا إليكَ الذكر لتبيّنَ للناس ما نُزّلَ إليهمْ، ولعلهمْ يتفكرون﴾**[2] فقد أضاف البيان إلى الرسول ﷺ فعُلِم أنه ليس لغيره شيء من البيان لمعاني القرآن.

رابعاً: تحرّج الصحابة من القول في القرآن بآرائهم، حتى روى عن الصّديق أنه قال: «أيّ سماء تظلّني؟ وأيّ أرض تقلّني؟ إذا قلت في القرآن برأيي، أو قلت فيه بما لا أعلم»؟.

أدلة المجيزين للتفسير بالرأي:

وقد استدل المجيزون للتفسير بالرأي وهم (الجمهور) بعدة أدلة نوجزها فيما يلي:

أولاً: لقد حثنا الله على التدبر، وتعبّدنا في القرآن فقال عزّ من قائل: **﴿كتابٌ أنزلناهُ إليك مباركٌ ليدبّروا آياته، وليتذكر أولو الألباب﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿أفلا يتدبّرونَ القرآن أمْ على قلوبٍ أقفالها﴾**[4]؟.

والتدبّر والتذكّرُ لا يكون إلاّ بالغوص عن أسرار القرآن، والاجتهاد في فهم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٤) سورة محمد، الآية: ٢٤.

معانيه، فهل يعقل أن يكون تأويل ما لم يستأثر الله بعلمه محظوراً على العلماء، مع أنه طريق العلم، وسبيل المعرفة؟.

ثانياً: إن الله تعالى قسم الناس قسمين: عامة، وعلماء، وأمر بالرجوع إلى أهل العلم الذين يستنبطون الأحكام فقال تعالى: ﴿**ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾[1] الآية، والاستنباط هو استخراج المعاني الدقيقة بثاقب الذهن، وهو إنما يكون بالاجتهاد والغوص في أسرار القرآن، كما يغوص السباح في أعماق البحر، لاستخراج الجواهر واللآلىء.

ثالثاً: قالوا، لو كان التفسير بالاجتهاد غير جائز، لما كان الاجتهاد جائزاً، ولتعطّل كثير من الأحكام، وهذا باطل فإن المجتهد في حكم الشرع مأجور سواء أصاب أو أخطأ، ما دام أنه قد استفرغ جهده، وبذل ما في وسعه، بغية الوصول إلى الحق والصواب.

رابعاً، إن الصحابة قرؤوا القرآن، واختلفوا في تفسيره على وجوه، ومعلوم أنهم لم يسمعوا كلّ ما قالوه في تفسير القرآن من النبي ﷺ إذ أنه لم يبيّن لهم كل شيء، بل بيّن لهم الضروري منه، وترك البعض الآخر الذي توصلوا إلى معرفته بعقولهم واجتهادهم، ولو بيّن لهم كلّ معانيه لما وقع بينهم اختلاف في التفسير.

خامساً: أن النبي ﷺ دعا لابن عباس فقال: «اللّهم فقّهْهُ في الدين، وعلّمْهُ التأويل» فلو كان «التأويل» مقصوراً على السماع والنقل كالتنزيل لما كان هناك فائدة في تخصيص ابن عباس بهذا الدعاء، فدلّ على أن التأويل هو التفسير بالرأي والاجتهاد.

الرد على أدلة المانعين:

وقد ردّوا على أدلة المانعين بحجج دامغة، وبراهين قاطعة، تثبت خطأهم فقالوا في الردّ على الدليل الأول: إن التفسير بالاجتهاد ليس قولاً على الله بغير علم، بل هو قول

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

بعلم مأذون به من الشارع، فقد بيّن عليه السلام أن المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، فكيف يكون مأجوراً إذا لم يكن مسموحاً له بالاجتهاد؟.

ثانياً: أما الدليل الثاني وهو حديث «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» فقد ردّ السيوطي بخمسة أدلة عليه فقال جملة ما تحصل في معنى التفسير بالرأي خمسة أقوال:

أحدها: التفسير من غير حصول على العلوم التي يجوز معها التفسير.
الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلاّ الله تعالى.
الثالث: التفسير المقرّر للمذهب الفاسد، فيجعل المذهب أصلاً، والتفسير تابعاً.
الرابع: الحكم بأنّ مراد الله كذا على وجه القطع من غير دليل.
الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى[1].

ثالثاً: في الرد على الدليل الثالث قالوا: نعم إن النبي ﷺ مأمور بالبيان ولكنه انتقل إلى انتقل إلى جوار الله ولم يبيّن لهم كل شيء، فما ورد بيانه عنه ﷺ ففيه الكفاية، وما لم يرد عنه بيانه فلا بدّ فيه من الاجتهاد وإعمال الفكر، وختام الآية يشهد ذلك ﴿ولعلهم يتفكرون﴾[2] فلا بدّ إذاً من الفكر والاجتهاد.

رابعاً: وفي الرد على الدليل الرابع قالوا: إن إحجام الصحابة إنما كان منهم (ورعاً واحتياطاً) خشية ألا يصيبوا عين اليقين، وكانوا يرون أن التفسير شهادة على الله بأنه أراد باللفظ كذا فأمسكوا عنه خشية ألا يكون الصواب جانبهم، وأمّا إذا ترجّح لهم وجه الصواب فإنهم لا يمتنعون، وهذا أبو بكر الصديق يفتي في الكلالة برأيه في قوله تعالى ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾[3] فيقول رضي الله عنه: أقول فيها برأي، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان الكلالة: ما خلا الوالد والولد.

---

(١) انظر: الإتقان، ج ٢ ص ١٨٣.
(٢) سورة النحل، جزء من الآية: ٤٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

من هذه النظرة العابرة يتبيّن لنا خطأ وجهة الذين منعوا تفسير القرآن بالاجتهاد، وقصروه على المنقول والمأثور. وقد علمت أدلة الجمهور القوية، وتفنيدهم لأدلة المانعين. ونزيد هنا كلمة للإمام الغزالي، وأخرى للراغب الأصفهاني، وثالثة للقرطبي حول جواز تفسير القرآن بالاجتهاد.

كلمة الإمام الغزالي:

قال الغزالي في الإحياء: «إنّ في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً، ومتسعاً بالغاً. وإنّ المنقول من ظاهر التفسير، ليس منتهى الإدراك فيه. فبطل أن يشترط السماع في التأويل. وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه، وحدّ عقله...»[1].

كلمة الراغب الأصفهاني:

وقال الراغب الأصفهاني في مقدمة التفسير ـ بعد أن ذكر المذهبين وأدلتهما ـ قال: «وذكر بعض المحققين أنّ المذهبين هما (الغلوّ والتقصير) فمن اقتصر على المنقول فقد ترك كثيراً مما يحتاج إليه، ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد عرّضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى: ﴿ليدبّروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾[2].

كلمة الإمام القرطبي:

وقال العلامة القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ما نصّه:

«وقال بعض العلماء: إنّ التفسير موقوف على السماع لقوله تعالى ﴿فإنْ تنازعتُم في شيء فردوهُ إلى الله والرسول﴾[3] الآية. وهذا فاسد. لأنّ النهي عن تفسير القرآن لا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والسموع وترك الاستنباط، أو المراد به أمر آخر. وباطل أن يكون المراد به ألاّ يتكلم أحد في القرآن، إلاّ بما سمعه. فإنّ الصحابة رضي الله عنهم قد قرؤوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ فإنّ النبي ﷺ دعا لابن عباس فقال: اللهم

---

(١) أنظر الإحياء، ج ٣، ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) سورة ص، الآية ٢٩. مقدمة التفسير للراغب، ص ٤٢٣.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

فقهه في الدين وعلّمه التأويل» فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك؟[1] ثم قال: والنهيُ محمول على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من الطبع والهوى، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه.

الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل، فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الحذف والإضمار، والتقديم والتأخير، تأمل قوله تعالى ﴿وآتينا ثمود الناقة مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾[2] فإنّ معناه: آتينا ثمود الناقة معجزة واضحة، وآية ظاهرة، فظلموا أنفسهم بقتلها. والناظر إلى ظاهر العربية يظنّ أن الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بماذا ظلموا، وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم، فهذا من الحذف والإضمار، وأمثال هذا في القرآن كثير، وما عدا هذين الوجهين فلا يشمله النهي[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ١ ص ٣٣

(٢) سورة الإسراء، الآية ٥٩

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج ١ ص ٢٤

القسم الثالث

التفسير الإشاري وغرائب التفاسير

النوع الثالث من التفسير هو (التفسير الإشاري) وسنتعرض في هذا البحث إلى معنى التفسير الإشاري، وإلى شروطه، وإلى آراء العلماء فيه، ثم نعقب ذلك ببيان نماذج عن التفسير الإشاري، وأهم الكتب التي نحت هذا المنحى، وما فيها من حسنات وسيئات.

معنى التفسير الإشاري:

التفسير الإشاري هو: تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نوّر الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي، أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة.

فالتفسير الإشاري هو أن يرى المفسّر معنىً آخر، غير معنى الظاهر تحتمله الآية الكريمة، ولكنّه لا يظهر لكل إنسان وإنما يظهر لمن فتح الله قلبه، وأنار بصيرته، وسلكه في ضمن عبادة الصالحين، الذين منحهم الله ألفهم والإدراك، كما قال تعالى في قصة الخضر مع موسى عليه السلام ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ

عندنا، وعلّمناهُ من لدنّا علماً﴾[1].

وهذا النوع من العلم ليس من العلم (الكسبي) الذي ينال بالبحث والمذاكرة وإنما هو من العلم (اللدُنّي) أي الوهبيّ الذي هو أثر التقى والاستقامة والصلاح كما قال تعالى ﴿واتقوا اللهَ ويعلمكُم اللهُ، واللهُ بكلِ شيء عليم﴾[2].

آراء العلماء في التفسير الإشاري:

اختلف العلماء في التفسير الإشاري، وتباينت فيه آراؤهم، فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، ومنهم من عدّه من كمال الإيمان، ومحض العرفان ومنهم من اعتبره زيغاً وضلالاً، وانحرافاً عن دين الله تبارك وتعالى.

والواقع أن الموضوع دقيق، يحتاج إلى بصيرة ورؤية، وغوصٍ إلى أعماق الحقيقة، ليظهر ما إذا كان الغرض من هذا النوع من التفسير هو اتباع الهوى، والتلاعب في آيات الله كما فعل (الباطنية) فيكون ذلك زندقة وإلحاداً أو الغرض منه الإشارة إلى أن كلام الله تعالى، لا يحيط به بشر، لأنه كلام خالق القوى والقُدَر، وأنّ لكلامه تعالى مفاهيم وأسراراً، ونكتاً ودقائق، وعجائب لا تنقضي، فيكون ذلك من محض العرفان وكمال الإيمان، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إنّ القرآن ذو شجون وفنون، وظهورٍ وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تُبْلغ غايتُه، فمن أوغل فيه برفقٍ نجا، ومن أوغل فيه بعنفٍ هوى، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة، وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء، وجانبوا به السفهاء)[3].

أدلة المجيزين:

وقد استدل القائلون بجواز التفسير الإشاري بما رواه البخاري في صحيحه في باب التفسير، عند تفسير سورة (النصر) ونصّ الحديث.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك. أنظر: الإتقان، ج ٢ ص ١٨٥.

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:

كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأنّ بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنّه مَنْ علمتم؟ فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم، قال: فما رأيت أنه دعاني إلاّ ليريهم، فقال عمر: ما تقولون في قول الله تعالى ﴿إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ﴾ [1]؟ فقال بعضهم: أُمِرْنا بأن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذا تقول يا ابن عباس؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه، فقال: ﴿إذا جاء نصرُ اللهِ والفتحُ﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فسبّح بحمد ربك واستغفرْهُ إنهُ كانَ تواباً﴾ [2] فقال عمر: ما أعلم منها إلاّ ما تقول [3].

فهذا الفهم من ابن عباس لم يفهمه بقية الصحابة، وإنما فهمه عمر وفهمه ابن عباس، وهو من (التفسير الإشاري) الذي يلهمه الله من شاء من خلقه، ويطلع عليه بعض عباده، فالسورة الكريمة فيها (نعي) للنبي عليه الصلاة والسلام وإشارة إلى دنو أجله. ومثل هذا ما ورد في الحديث الشريف أن النبي ﷺ خطب الناس يوماً، فقال في جملة خطبته: «إنّ الله خيّر عبداً بين الدنيا، وبين ما عنده فاختار ما عنده»، فبكى أبو بكر - وفي رواية فقال فديناك يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا - فعجبنا له يبكي، فلما قبض رسول الله ﷺ علمنا أنه كان هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا [4].

فأبو بكر الصديق فهم (بطريق الإشارة) ما لم يفهمه عامة الصحابة، وكان الأمر كما قال.

طائفة من أقوال العلماء:

وأنا أنقل هنا طائفة من أقوال العلماء في التفسير الإشاري بإيجاز، سائلاً المولى أن

---

(١) سورة النصر، الآية: ١

(٢) سورة النصر، الآية: ٣

(٣) نقلاً عن جمع الفوائد وأعذب الموارد، ج ٢ ص ٢٨٥

(٤) الحديث رواه البخاري والترمذي.

بلهمنا السداد والرشاد، وأن يجنبنا الخطأ والضلال، ثم أعقبها بكلمة لحجة الإسلام الإمام (الغزالي) رحمه الله فهي مسك الختام، فأقول ومن الله أستمد العون:

كلمة الزركشي في البرهان:

قال الزركشي في البرهان: «كلام الصوفية في تفسير القرآن، قيل إنّه ليس بتفسير، وإنما هو معانٍ ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾[1] إن المراد «النَّفْسُ» يريدون أن علة الأمر بقتال من يلينا هي القرب، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسُه».

كلمة النسفي والتفتازاني:

وقال النسفي في العقائد: «النصوص على ظواهرها، والعدول عنها إلى معانٍ يدّعيها أهل الباطل إلحاد..» اهـ.

وقال التفتازاني في شرحه على العقائد: «سمّيت الملاحدة باطنية لادعائهم أنّ النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معانٍ لا يعرفها إلاّ المعلّم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية، قال: وأمّا ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفيّة إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك، يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان، ومحض العرفان»[2]. فأنت ترى أن النسفي أشار إلى (الباطنية) وبيّن أن طريقهم إلحاد في دين الله، والتفتازاني فصّل البحث، ووضّح الموضوع، فردّ على (الباطنية) ضلالهم، وأقرّ لبعض أرباب السلوك طريقهم في استنباط الدقائق، والإشارات الخفية، وجعلها من كمال المعرفة والإيمان.

ومن هنا يظهر لنا الفرق جلياً بين (التفسير الإشاري) الذي هو تفسير بعض العارفين بالله، وبين (التفسير الباطني) الذي هو تفسير الباطنية الملاحدة الذين يحرّفون معاني الكتاب العزيز.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

(٢) شرح العقائد النسفية للتفتازاني.

فالأولون: لا يمنعون إرادة الظاهر، بل يقولون إنه هو الأصل والأساس ويحضّون عليه ويقولون: لا بدّ من معرفة الظاهر أولاً، إذ من ادّعى فهم أسرار القرآن ولم يُحْكِمْ الظاهر، يكون كمن ادّعى بلوغ سطح البيت قبل أن يلج الباب.

وأما الباطنية: فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلاً، وإنما المراد الباطن وقصدهم من وراء هذا الكلام، نفي الشريعة وإبطال الأحكام، وهذا بلا شك إلحاد في الدين، وقد قال الله تبارك وتعالى:

﴿ إنّ الذين يُلحدونَ في آياتنا لا يخْفَوْنَ علينا، أفمَنْ يُلقى في النارِ خيرٌ أمْ منْ يأتي آمناً يوم القيامة، اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير ﴾[1].

كلام السيوطي في الاتقان:

والعلامة السيوطي ذكر في كتابه (الاتقان) عن ابن عطاء النص الآتي: «اعلم أن التفسير من هذه الطائفة (يعني التفسير الإشاري) لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني العربية، ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له، ودلت عليه في عرف اللسان، ثم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث، لمن فتح الله قلبه.

فلا يصدّنك عن تلقي هذه المعاني منهم، أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ، فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون حالة لو قالوا: لا معنى للآية إلاّ هذا، وهم لم يقولوا ذلك، بل يقرّرون الظواهر على ظواهرها، مراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما ألهمهم[2]

أقول: هذا كلام الإنصاف، فقد وضع الشيخ الحقّ في نصابه، وجمع بين النصوص الظاهرة، والمعاني الخفية الواردة، التي تشرق على قلب المؤمن العارف بالله، كما كان الحال مع الصدّيق وعمر، ولا عجب فالله تعالى يعطي الحكمة من يشاء، ويضع الفهم

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٠.

(٢) أنظر: الإتقان، ج ٢ ص ١٨٥.

فيمن أراد، وهذا هو القرآن الكريم يخبرنا عن (داود وسليمان) في أمر عرض عليهما فحكم كلّ واحدٍ منهما بحكم يخالف الآخر فيقول: ﴿ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حُكماً وعلماً﴾[1].

معنى الحديث الوارد في التفسير الإشاري:

ويجدر بنا هنا أن نبيّن معنى الحديث الوارد في التفسير الإشاري، في بيان معنى ظهر الآية وبطنها، وحدّ الحرف، ومطلع الحد.. الخ. لئلا يتخذه الملاحدة الباطنية حجة لهم في دعواهم الباطلة، في تفسير كلام الله تعالى على طريقتهم الباطنية، وتلاعبهم في النصوص الكريمة حسب الأهواء.

روى الفريابي بسنده عن الحسن عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرفٍ حدّ، ولكل حدّ مطلع».

وروى الطبراني عن ابن مسعود موقوفاً: «إن هذا القرآن ليس منه حرف إلاّ له حدّ، ولكل حدٍّ مطلعٌ».

وقد ذكر العلامة السيوطي بعض الوجوه في تأويل الحديث الشريف في معنى (الظهر والبطن) ونحن نذكر أقرب هذه الأوجه إلى الصواب:

الوجه الأول: أن المراد بالظاهر لفظها، وبالباطن تأويلها.

الوجه الثاني: أن المراد بالظاهر، ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمّنته من الأسرار، التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق.

الوجه الثالث: أن القصص التي قصّها الله تعالى عن الأمم الماضية، وما عاقبهم به، ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين، وباطنها وعظ الآخرين، وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم، فيحلّ بهم مثل ما حلّ بهم، قال السيوطي: وهذا الوجه اشبهها بالصواب[2]

---

(١) سورة الإنبياء، الآية: ٧٩.

(٢) من الإتقان ج ٢ ص ١٨٤ بتصرف.

وأما المراد (بالحدّ) فهو أحكام الحلال والحرام، والمراد (بالمطلع) الوعد والوعيد ويؤيده حديث ابن عباس السابق (إن القرآن ذو شجون وفنون) الحديث وقد مرّ معك ذكره.

شروط قبول التفسير الإشاري:

والتفسير الإشاري لا يكون مقبولاً إلاّ إذا توفرت فيه الشروط الآتية:

أولاً: عدم التنافي مع المعنى الظاهر في النظم الكريم.

ثانياً: عدم ادعاء أنه المراد وحده دون الظاهر.

ثالثاً: ألاّ يكون التأويل بعيداً سخيفاً لا يحتمله اللفظ، كتفسير الباطنية قوله تعالى: ﴿وورث سليمانُ داودَ﴾[1] أي أن الإمام علياً ورث النبيّ في علمه.

رابعاً: ألاّ يكون له معارض شرعي أو عقلي.

خامساً: ألاّ يكون فيه تشويش على أفهام الناس.

وبدون هذه الشروط لا يقبل التفسير الإشاري، ويكون عند ذلك من قبيل التفسير بالهوى والرأي المنهي عنه والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

كلمة قيمة للشيخ الزرقاني:

ونسوق هنا كلمة قيمة للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني حول التفسير الإشاري، فيها حكمة بالغة. ونصيحة صادقة، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. قال رحمه الله:

«ولعلك تلاحظ معي أن بعض الناس قد فتنوا بالإقبال على دراسة تلك الإشارات والخواطر، فدخل في روعهم أنّ الكتاب والسنة، بل والإسلام كله ما هي إلاّ سوانح وواردات، على هذا النحو من التأويلات والتوجيهات وزعموا أنّ الأمر ما هو إلاّ تخييلات، وأنّ المطلوب منهم هو الشطح مع الخيال أينما شطح، فلم يتقيّدوا بتكاليف

---

(١) سورة النمل، الآية: ١٦

الشريعة، ولم يحترموا قوانين اللغة العربية، في فهم أبلغ النصوص العربية، كتاب الله وسنة رسوله.

والأدهى من ذلك أنهم يتخيّلون للناس، أنهم هم أهل الحقيقة الذين أدركوا الغاية، واتصلوا بالله اتصالاً أسقط عنهم التكليف، وسما بهم عن حضيض الأخذ بالأسباب، ما داموا في زعمهم مع ربّ الأرباب، وهذا ـ لعمر الله ـ هو المصاب العظيم، الذي عمل له الباطنية كيما يهدموا التشريع من أصوله، ويأتوا بنيانه من قواعده.

فواجب النصح لإخواننا المسلمين يقتضينا أن نحذرهم الوقوع في هذه الشباك، ونشير عليهم أن ينفضوا أيديهم من أمثال تلك التفاسير الإشارية الملتوية، لأنها كلها أذواق ومواجيد خارجة عن حدود الضبط والتقييد، وكثيراً ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة، والحق بالباطل، فالأحرى بالفطن العاقل أن ينأى بنفسه عن هذه المزالق، وأن يفرّ بدينه من هذه الشبهات، وأمامه في الكتاب والسنة، وشروحها على قوانين الشريعة واللغة، رياض وجنات ﴿أتستبدلونَ الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾[1]؟.

كلمة حجة الإسلام الغزالي:

ويقول حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في كتابه (إحياء علوم الدين) في فصل الذكر والتذكير ما نصّه:

« وأمّا الشطح فنعني به صنفين من الكلام أحدثها بعض الصوفية:

أحدهما: الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى، والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة، حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد، وارتفاع الحجاب، والمشاهدة بالرؤية، والمشافهة بالخطاب، فيقولون: قيل لنا كذا وقلنا كذا، ويتشبّهون فيه بالحسين (الحلاج) الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: « أنا الحق » وهذا فنّ من الكلام عظيم ضرره على العوام، حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦١. أنظر مناهل العرفان، ج ١ ص ٥٥٨.

الثاني: كلمات غير مفهومة، لها ظواهر رائقة، وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوّش القلوب ويدهش العقول ويحيّر الأذهان، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه « ما حدّث أحد قوماً بحديث لا يفقهونه إلاّ كان فتنةً عليهم[1] ».

وقال علي كرّم الله وجهه: « كذّبوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذّب الله ورسوله »[2].

أمثلة على التأويل الإشاري الفاسد:

ثم قال طيّب الله ثراه: « وأمّا الطامات فيدخلها ما ذكرناه من الشطح، وأمر آخر يخصها وهو: صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة، إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة، فهذا أيضاً حرام وضرره عظيم. ومن أمثلة تأويل أهل الطّامات، قول بعضهم في تأويل قوله تعالى ﴿**اذهبْ إلى فرعونَ إنّه طغى**﴾[3] إنه إشارة إلى قلبه، وقال هو المراد بفرعون، وهو الطاغي على كل انسان. وفي قوله تعالى ﴿**وأن ألقِ عصاكَ**﴾[4] أي كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغي أن يلقيه.

وفي قوله ﷺ: « تسحّروا فإن في السحور بركة » فسّروا السحور بأنه الاستغفار في الأسحار وأمثال ذلك حتى ليحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء. وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً، كتنزيل فرعون على القلب، فإنّ فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده، وبعضها يعلم بطلانه بغالب الظنّ، وكلّ ذلك حرام وضلالة، وإفساد للدين على الخلق.

---

(١) روي في مقدمة صحيح مسلم موقوفاً على ابن مسعود.

(٢) رواه البخاري موقوفاً على علي

(٣) سورة طه، الآية: ٢٤.

(٤) سورة القصص، الآية: ٣١.

ومن يستجيز من أهل الطّامات مثل هذه التأويلات، مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ، يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع (الكذب) على رسول الله ﷺ كمن يضع في كل مسألة يراها، حديثاً عن النبي ﷺ فذلك ظلم وضلال، ودخول في الوعيد « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ».. بل الشرّ في تأويل هذه الألفاظ أطمّ وأعظم، لأنه مبطل للثقةبالألفاظ، وقاطع طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية[1]..) انتهى كلام الغزالي.

خلاصة البحث:

ومما تقدم يتبين لنا أن التفسير الإشاري له ما يؤيده من الشرع، ولكنه قد دخلت عليه بعض التأويلات الفاسدة، وسلك فيه بعض الناس مسلك الباطنية ولم يراعوا الشروط التي وضعها العلماء، وأخذوا يخبطون فيه خبط عشواء، بل أصبح كلّ من هبّ ودبّ، يتطاول على كتاب الله تعالى، فيتأوله حسب ما يمليه عليه الهوى، أو يوسوس له به الشيطان، ويزعم أنه من التفسير الإشاري مع أنه سفاهة وضلالة وجهالة، لأنه تحريف لكتاب الله، وسلوك لمسلك الباطنية الملاحدة وهو إن لم يكن تحريفاً لألفاظه فإنه تحريف لمعانيه. ولقد سمعت من يستشهد بالآية الكريمة ﴿**قل الله ثمّ ذرهُم في خوضهم يلعبون**﴾[2] على ضرورة ملازمة المريد لذكر الله تعالى بلفظ (الله) فجعل هذه اللفظة مقول القول: أي (قل: الله) وما درى هذا الجاهل الغبيّ أنّ هذه جملة حذف منها الخبر، والتقدير: (الله أنزله) بدليل سياق الآية الكريمة ﴿**وما قدروا الله حقّ قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ منْ شيء، قل منْ أنزل الكتاب الذي جاء به موسى..**﴾ إلى قوله: ﴿**قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون**﴾ وأمثال هذا التخليط كثير. فلا ينبغي لعلماء المسلمين أن يسمحوا لأمثال هؤلاء الجهلة، بالتطاول على كتاب الله، وبتفسيره بما يخالف الظاهر، ويجافي الحق والصواب، زعماً منهم أنه من نوع (التفسير الاشاري) فالتفسير له حدود وشروط، وليس لكل انسان أن يقول فيه

---

(١) الإحياء للغزالي باختصار

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩١

برأيه، أو يعبث في نصوصه يفهمه العليل، ولقد صدق شيخ الإسلام (ابن تيمية) حين قال: «نصف طبيب يفسد الأبدان، ونصف عالم يفسد الأديان، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(غرائب التفسير)

ذكر العلامة (السيوطي) في كتابه الاتقان، نقلاً عن الكرماني أنه ألف كتاباً في مجلدين سماه (العجائب والغرائب) ضمّنه أقوالاً منكرة في التفسير، لا يجوز قولها ولا الاعتماد عليها، لأنها من أقوال أهل الضلال، وإنما ذكرها للتحذير منها، وقال: إنما أردت بذكرها أن يعلم الناس أنّ فيمن يدّعي العلم حمقى. ونحن ننقل طرفاً منها، وننقل بعض أقوال أخرى عن الباطنية حتى يحذر المسلمون من أمثال هذه الأباطيل، التي دخلت على الأمة الإسلامية بسبب التعصب الأعمى واتباع الأهواء.

أمثلة على هذه الغرائب.

أولاً: في قوله تعالى ﴿حمعسق﴾[1] قالوا: الحاء حرب علي ومعاوية، والميم ولاية بني مروان، والعين ولاية العباسيين، والسين ولاية السفيانيين، والقاف القدوة بالمهدي، إلى غير ما هنالك من الضلال.

ثانياً: قوله تعالى ﴿ولكُم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب﴾[2] قالوا: القصاص المراد به قصص القرآن، وهو باطل لغة وشرعاً، وقول لا يقول به إلا الجهلاء.

ثالثاً: قوله تعالى ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾[3] قالوا: إن إبراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه، وفسّروه بمعنى ولكن ليسكن صديقي وهذا بعيد جداً.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

رابعاً: قوله تعالى ﴿ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به﴾[1] قالوا: إنه الحب والعشق، ففسّروا مالا طاقة للإنسان به بهذا التفسير الباطل، وهذا حكاه الكواشي في تفسيره.

خامساً: قوله تعالى ﴿ومن شرّ غاسق إذا وقب﴾[2] قالوا: إنه الذكر إذا انتصب، وهذا بلا شك ـ جرأة غريبة، ووقاحة شنيعة لا تصدر إلاّ من سفيه أحمق.

سادساً: قوله تعالى ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾[3] قالوا: المراد بالشجر الأخضر (إبراهيم) وناراً أي نوراً (محمد) ﷺ، فإذا أنتم منه توقدون أي تقتبسون الدين[4]. وهذا التفسير من الغرائب لا تدل عليه اللغة، وهو تأويل باطل لنصوص القرآن، وإن كان سبكه جميلاً وعبارته لطيفة.

نماذج عن تفسير الشيعة:

الشيعة هم فرق عديدة، أسرفوا في حبّ الإمام (علي) كرّم الله وجهه، فمنهم من أغرق في نفس التشيّع حتى كفر، وعلى رأس هؤلاء (ابن سبأ) اليهودي الخبيث الذي ما اعتنق الاسلام إلا بقصد الكيد له، والدس فيه، ومنهم من يعتقد بأن الأمين جبريل قد تاه وأخطأ في النزول، وأنه كان سينزل بالرسالة على (علي) فأخطأ ونزل على (محمد) وهؤلاء كانوا دائماً في حرب وخصومة مع المسلمين، حتى ورد أنّ علياً نفسه شن الغارة عليهم وحاربهم وطاردهم على كفرهم وضلالهم.

ومنهم أناس معتدلون، لم يسقطوا في هاوية الكفر، وإنما خالفوا أهل السنة والجماعة، واعتقدوا بأفضلية (علي) على جميع الصحابة وأنه أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان، وبأحقيته بالخلافة لأنه من آل البيت، واعتقدوا بأن الخلفاء الثلاثة قد سلبوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة الفلق، الآية: ٣.

(٣) سورة يس، الآية: ٨٠.

(٤) الإتقان، ج ٢ ص ١٨٦ بتصرف

علياً حقه في توليهم الخلافة، ومنهم من يفضّل علياً فقط، ومنهم من لا يكتفي بذلك بل يشتم (الشيخين) أبا بكر وعمر، ويعتقد فيهم الضلال والعياذ بالله، مع أنّ الله تعالى أثنى عليهما في آيات عديدة وجعلهم من خاصة أصحاب نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، وسنعرض إلى نماذج من تأويلات (الإثني عشرية) والشيعة (السبئية) في كتاب الله الكريم.

من تفسيرات الشيعة (الاثني عشرية):

١ ـ ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ [١] فسّروه بلقاء الإمام علي رضوان الله عنه.

٢ ـ ﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة﴾ [٢] الراجفة الحسين، والرادفة أبوه علي كرم الله وجهه.

٣ ـ ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ [٣] يعني بالذين آمنوا الأئمة الإثني عشرية.

٤ ـ ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ [٤] أي لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد.

٥ ـ ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ [٥] أي أشرقت بنور الإمام رضي الله عنه

٦ ـ ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح﴾ [٦] الآية، فسروها بأنّ من لم يقرّ بولاية عليّ عليه السلام بطل عمله، وأصبح كالرماد الذي تحمله الريح فتذروه.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢٩.
(٢) سورة النازعات، الآية: ٦.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٤) سورة النحل، الآية: ٥١.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٩.
(٦) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

٧ - ﴿يا ليتني كنتُ تراباً﴾[١] أي من شيعة (أبي تراب)، هي كنية علي رضي الله عنه.

من تفسيرات السبئية:

١ - السبئية من الشيعة، وهم يزعمون أنّ علياً كرّم الله وجهه في السحاب، ويفسرون الرعد بأنه صوت عليّ، والبرق لمعان سوطه أو تبسمه وإذا سمع أحدهم صوت الرعد يقول: عليك السلام يا أمير المؤمنين.

٢ - ومن مزاعمهم أنهم يعتقدون بأن محمداً ﷺ سيرجع إلى الحياة الدنيا ويستدلون بقوله تعالى: ﴿إنّ الذي فرضَ عليكَ القرآن لرادُّكَ إلى معادٍ﴾[٢] أي سيرجعك إلى الدنيا.

٣ - وفي آية الأمانة ﴿إنّا عرَضْنا الأمانةَ على السمواتِ والأرض والجبال فأبَيْنَ أنْ يحملنها وأشفقن منها وحَمَلها الإنسانُ إنّه كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[٣] يزعمون أنّ الظلوم الجهول هو (أبو بكر).

٤ - وفي قوله تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر..﴾[٤] يفسرون الشيطان بأنه عمر[٥]

ومن تفاسير الشيعة كتاب يسمى (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) وهو مطبوع. مؤلفه يدعى المولى (الكازلاني) من النجف. وهذا التفسير مشتمل على تأويلات تشبه تأويلات الباطنية، فالأرض يفسّرها بالدين، وبالأئمة عليهم السلام، وبالشيعة، وبالقلوب التي هي محل العلم وقراره، وبأخبار الأمم الماضية.. الخ.

---

(١) سورة النبأ، الآية: ٤٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٤) سورة الحشر، الآية: ١٦.

(٥) أنظر كتاب الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ص ٦٥، والفرق بين الفرق للبغدادي.

فيقول في قوله تعالى ﴿ألم تكن أرض الله واسعة﴾[1] المراد دين الله وكتاب الله. ويقول في قوله تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض﴾[2] المراد أولم ينظروا في القرآن الخ.

فأنت ترى أنه قد حمل اللفظ الذي لا يجهله أحد، على معانٍ غريبة من غير دليل، وما حمله على ذلك إلاّ مركب الهوى، والتعصب الأعمى لمذهبه. وذلك لا شك ضلال لا يقل عن ضلال الباطنية ولا البهائية ﴿ومَنْ يُضْلِلِ الله فما لَهُ مِنْ هادٍ﴾[3].

تفسيرات الباطنية:

الباطنية قوم لا يقبلون الأخذ بظاهر القرآن، وإنما يقولون: إن القرآن له (ظاهر وباطن) ويعتقدون بأن المراد منه (الباطن) دون الظاهر، ويستدلون بقوله تعالى **﴿فضُرِبَ بينَهم بسورٍ له بابٌ. باطنهُ فيه الرحمةُ. وظاهرهُ مِنْ قِبَلِه العذابُ﴾**[4].

وهم فرق متعددة نذكر أهمها:

١ ـ الإسماعيلية: نسبة إلى (إسماعيل) أكبر أولاد جعفر الصادق وكانوا يعتقدون فيه الإمامة.

٢ ـ القرامطة: نسبة إلى (قرمط) إحدى قرى واسط، وقد تزعمهم رجل منها اسمه (حمدان).

٣ ـ السبعية: نسبة إلى (السبعة) لأنهم يعتقدون أنّ في كل سبعة منهم إماماً يقتدى به.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٠.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٣. نقلاً عن كتاب مناهل العرفان ج ١ ص ٥١٥.

(٤) سورة الحديد، الآية: ١٣.

٤ ـ الحرميّة: نسبة إلى (الحرمة) وذلك لأن هؤلاء يستبيحون الحرمات والفواحش[1].

نماذج عن تفسير الباطنية:

١ ـ قوله تعالى ﴿لتركبُنَّ طبقاً عَنْ طَبَقٍ﴾[2] قالوا: إنه إشارة إلى الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء، أي لتسلكن سبل من قبلكم بالغدر في الأئمة بعد الأنبياء.

٢ ـ قوله تعالى ﴿قال الذين لا يَرْجُونَ لِقاءنا ائْتِ بقرآنٍ غيرِ هذا أو بدّله﴾[3] يفسرونه (أو بدّله) أي بدّل علياً، ومعلوم أن علياً لم يسبق له ذكر.

٣ ـ قوله تعالى ﴿إنّ الذين آمنوا ثُمّ كفروا ثُمّ آمنوا ثم كفروا ثُم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً﴾[4] قالوا: إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان، آمنوا بالنبي أولاً، ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية عليّ، ثم آمنوا بالبيعة لعلي، ثم كفروا بعد النبي، ثم ازدادوا كفراً بأخذ البيعة من كل الأمة[5].

٤ ـ قوله تعالى ﴿إنّ الله يأمركُمْ أنْ تذبحُوا بقرةً﴾[6] قالوا: المراد بالبقرة (عائشة) والمراد (اضربوه ببعضها) طلحة والزبير.

٥ ـ قوله تعالى ﴿إنما الخمرُ والميسرُ﴾[7] قالوا: المراد بهما أبو بكر وعمر، قاتلهم الله أنّى يؤفكون. وباختصار فمذهب الباطنية وباء وضلال، انتقل إليهم من المجوس، وهم يؤولون (الجنابة) بإفشاء السّ، ويؤولون (الغسل) بتجديد العهد، و

---

(١) أنظر كتاب الفرق بين الفرق للبغداد.

(٢) سورة الإنشقاق، الآية: ١٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٥.

(٤) سورة النساء، ١٣٧.

(٥) أنظر: الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ص ٦٥.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٦٧.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(التيمم) بالأخذ عن المأذون، و (الصوم) بالإمساك عن كشف السر، إلى آخر ما لديهم من ضلالاتٍ ونجاسات. وهذه التأويلات الفاسدة، من أشد وأنكى ما يصاب به الإسلام والمسلمون، لأنها تؤدي إلى نقض بنيان الشريعة حجراً حجراً، وتجعل القرآن ألعوبة بين أيدي هؤلاء الأنعام، ومن فضل الله أنّ كتبهم لم تظهر إلى الوجود، وأنهم يخفون هذا في نفوسهم، وينفثون به بين كل حين وآخر، وهم إلى الزوال والفناء إن شاء الله، والله غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون.

اشهر كتب التفسير

(بالرواية والدراية والاشارة)

مع تعريف موجز عن أصحابها

أشهر كتب التفسير بالمأثور

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	الشهرة
١	جامع البيان في تفسير القرآن	محمد بن جرير الطبري	٣١٠ هـ	تفسير الطبري
٢	بحر العلوم	نصر بن محمد السمرقندي	٣٧٣ هـ	تفسير السمرقندي
٣	الكشف والبيان	أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري	٤٢٧ هـ	تفسير الثعلبي
٤	معالم التنزيل	الحسين بن مسعود البغوي	٥١٠ هـ	تفسير البغوي
٥	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	عبد الحق بن غالب الأندلسي	٥٤٦ هـ	تفسير ابن عطية
٦	تفسير القرآن العظيم	اسماعيل بن عمر الدمشقي	٧٧٤ هـ	تفسير ابن كثير
٧	الجواهر الحسان في تفسير القرآن	عبد الرحمن بن محمد الثعالبي	٨٧٦ هـ	تفسير الجواهر

٨	الدر المنثور في التفسير بالمأثور	جلال الدين السيوطي	٩١١ هـ	تفسير السيوطي

التعريف بكتب التفسير بالمأثور

١ ـ تفسير ابن جرير:

مؤلفه هو ابن جرير الطبري، وكنيته (أبو جعفر) ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣١٠ هـ، وكتابه من أجل التفاسير بالمأثور، وأصحها وأجمعها لأقوال الصحابة والتابعين، ويعتبر المرجع الأول للمفسرين، قال النووي: «كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنّف أحدٌ مثله».

مزايا هذا التفسير:

١ ـ اعتماده على المأثور من أقوال النبي ﷺ والصحابة والتابعين.

٢ ـ عرضه للأسانيد وللأقوال المروية وترجيحه للروايات.

٣ ـ إحاطته بالناسخ والمنسوخ من الآيات ومعرفته لطرق الرواية صحيحها وسقيمها.

٤ ـ ذكره لوجوه الأعراب، واستنباط الأحكام الشرعية من الآيات الكريمة.

وأخيراً فهو كتاب عظيم جليل، حافل بالروائع، إلا أنه أحياناً أخباراً بأسانيد غير صحيحة، ثم لا ينبه على عدم صحتها، كما أنه يسوق بعض أخبار هي من (الروايات الإسرائيلية) وتفسيره مطبوع منتشر في الأقطار وهو عمدة لأكثر المفسّرين.

٢ ـ تفسير السمرقندي:

مؤلفه نصر بن محمد السمرقندي، وكنيته (أبو الليث توفي سنة ٣٧٣ هـ وكتابه يسمى (بحر العلوم) وهو تفسير بالمأثور، يذكر فيه كثيراً من أقوال الصحابة والتابعين، غير أنه لا يذكر الأسانيد، وهو مخطوط في مجلدين، وتوجد نسخة منه في مكتبة الأزهر.

٣ ـ تفسير الثعلبي:

مؤلف هذا التفسير هو أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، المقرىء المفسّر، كنيته (أبو اسحق) وقد توفي سنة ٤٢٧ هـ أما ولادته فليست معروفة على وجه الضبط، وكتابه يسمى (الكشف والبيان عن تفسير القرآن).

يفسّر القرآن بما ورد عن السلف، مع اختصاره للأسانيد، اكتفاءً بذكرها في مقدمة الكتاب، ويتوسع في الأبحاث النحوية والفقهية، وهو مولع بالقصص والأخبار، ولهذا فإننا نجد في تفسيره قصصاً اسرائيلية نهاية في الغرابة، بل منها ما هو باطل قطعاً.

يقول ابن تيمية عنه: «الثعلبي في نفسه فيه خير ودين، ولكنه حاطب ليل»[1].

وتفسيره مخطوط غير كامل ينتهي إلى آخر سورة الفرقان وهو موجود بمكتبة الأزهر، وباقي الكتاب مفقود.

٤ ـ تفسير البغوي:

مؤلف هذا التفسير هو الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي، الفقيه، المفسّر المحدّث الملقّب بمحيي السنة، كنيته (أبو محمد) توفي سنة ٥١٠ بعد أن جاوز الثمانين من العمر، وكان إماماً جليلاً، ورعاً زاهداً، جامعاً بين العلم والعمل، وقد عدّه السبكي من أعلام علماء الشافعية

وقال ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير: «والبغوي في تفسيره مختصر من الثعلبي، ولكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة، والآراء المبتدعة»[2].

وقد طبع هذا التفسير مع تفسير ابن كثير. كما طبع مع تفسير الخازن. وتفسيره هذا فيه بعض القصص الإسرائيلية، ولكنه في جملته أحسن وأسلم من كثير من كتب التفسير بالمأثور.

---

(١) أنظر: أصول التفسير لابن تيمية ص ١٩.

(٢) أصول التفسير لابن تيمية، ص ١٩.

٥ ـ تفسير ابن عطية:

مؤلف هذا التفسير هو عبد الحق بن غالب بن عطيّة، الأندلسي، المغربي، الغرناطي، وكنيته (أبو محمد) ولد سنة ٤٨١ هـ وتوفي سنة ٥٤٦ هـ.

كان نحوياً لغوياً، أديباً شاعراً، على غاية من الذكاء والدهاء، وقد تولى القضاء بالأندلس في العصور الذهبية للإسلام، وتفسيره يسمى (المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) وقد جمع فيه مؤلفه الأقوال التي ذكرها علماء (التفسير بالمأثور) وتحرّى ما هو أقرب إلى الصحة منها.

وابن تيمية في فتاواه بعقد مقارنة بين تفسير (ابن عطية) وتفسير (الزمخشري) فيقول: «وتفسير ابن عطيّة خير من تفسير الزمخشري، وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع، وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعلّه أرجح هذه التفاسير»[1].

وهذا الكتاب على شهرته الواسعة، ومزاياه الفريدة، لا يزال مخطوطاً إلى اليوم، وهو يقع في عشر مجلدات كبار، ولعلّ الله يوفق من يخرج لنا هذا الكنز الثمين، ويطبعه ليعم به نفعه.

٦ ـ تفسير ابن كثير:

مؤلف هذا التفسير هو الحافظ عماد الدين (اسماعيل بن عمرو بن كثير) القرشي الدمشقي كنيته (أبو الفداء) ولد سنة ٧٠٠ هـ وتوفي سنة ٧٧٤ هـ.

كان ابن كثير رحمه الله جبلاً شامخاً، وبحراً ذاخراً في جميع العلوم وخاصة في التاريخ والحديث والتفسير، وكان إماماً جليلاً متفنّناً في أسلوب الكتابة والتأليف، قال الذهبي عنه:

«الإمام المفتي، المحدّث البارع، فقيه متفنّن، محدّث متقن، مفسّر نقّال، وله تصانيف مفيدة».

---

(١) فتاوى ابن تيمية، ج ٢ ص ١٤٢.

وتفسيره هذا يسمى (تفسير القرآن العظيم) وهو من أشهر ما دوّن في التفسير بالمأثور، ويعتبر الكتاب الثاني بعد كتاب الطبري، أعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسّري السلف، فروى الأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها وتكلّم عن بعضها بالجرح والتعديل، وردّ ما كان منها منكراً أو غير صحيح وهكذا يعتبر تفسيره من أحسن ما كتب في التفسير بالمأثور. وطريقته في التفسير أنه يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة، ويأتي لها بشواهد من آيات أخرى، ويقارن بين هذه الآيات حتى يتبين المعنى ويظهر المراد، وهو شديد العناية بهذا النوع من التفسير، الذي يسمونه (تفسير القرآن بالقرآن).

وأنا أنقل طرفاً ممّا جاء في مقدمة تفسيره، يقول طيّب الله ثراه:

«فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أنّ أصح الطريق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكانٍ فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسُّنّة فإنها شارحة للقرآن وموضّحة له، بل قد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: كلّ ما حكم به رسول الله ﷺ فهو ممّا فهمه من القرآن، قال الله تعالى ﴿إنّا أنزلنا إليكَ الكتابَ بالحق لتحكمَ بين الناس بما أراكَ اللهُ﴾[1] وقال ﷺ: «ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه»[2].

ومما يمتاز به (ابن كثير) أنه ينبّه إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات ويحذّر منها، وعلى الجملة فعلم ابن كثير يتجلى بوضوح لمن يقرأ تفسيره وتاريخه، وهما من خير ما أُلّف، ومن أفضل ما كتب، وتفسيره هذا من أصح التفاسير بالمأثور إن لم يكن أصحها جميعاً.

٧ ـ تفسير الجواهر:

مؤلف هذا التفسير هو الإمام الجليل عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

(٢) أنظر: تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٣.

الجزائري المغربي المتوفى سنة ٨٧٦ هـ وتفسيره هذا من التفسير بالمأثور نقل فيه أقوال السلف الصالح، وميّز بين الصحيح والضعيف، وتفسيره هذا مطبوع.

٨ ـ تفسير السيوطي:

مؤلف هذا التفسير هو الإمام الحجة الثقة جلال الدين السيوطي، صاحب المؤلفات الشهيرة المولود سنة ٧٤٩ المتوفى سنة ٩١١ هـ وتفسيره هو المسمى (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) قال في مقدمته: إنه خلصه من كتاب ترجمان القرآن، وهو التفسير المسند إلى رسول الله ﷺ وهو مطبوع بمصر، وقد ذكر في كتابه الإتقان: أنه شرع في تفسير جامع لما يحتاج إليه من التفاسير المنقولة، والأقوال المعقولة، والاستنباط والإشارات والأعاريب واللغات، ونكت البلاغة ومحاسن البديع وسماه (مجمع البحرين ومطلع البدرين) وهو غير هذا التفسير المسمّى بالدر، وقد احصيت مؤلفاته فبلغت قريباً من خمس مائة. رحمه الله تعالى على ما قدّم في سبيل خدمة العلم والدين.

اشهر كتب التفسير بالدراية (بالرأي)

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	الشهرة
١	مفاتيح الغيب	محمد بن عمر بن الحسين الرازي	٦٠٦ هـ	تفسير الرازي
٢	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٦٨٥ هـ	تفسير البيضاوي
٣	لباب التأويل في معاني التنزيل	عبدالله بن محمد المعروف بالخازن	٧٤١ هـ	تفسير الخازن
٤	مدارك التنزيل وحقائق التأويل	عبدالله بن أحمد النسفي	٧٠١ هـ	تفسير النسفي
٥	غرائب القرآن ورغائب الفرقان	نظام الدين الحسن محمد النيسابوري	٧٢٨ هـ	تفسير النيسابوري
٦	ارشاد العقل السليم	محمد بن محمد بن مصطفى الطحاوي	٩٥٢ هـ	تفسير أبي السعود
٧	البحر المحيط	محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي	٧٤٥ هـ	تفسير أبي حيان
٨	روح المعاني	شهاب الدين محمد الألوسي البغدادي	١٢٧٠ هـ	تفسير الألوسي

٩	السراج المنير	محمد الشربيني الخطيب	٩٧٧ هـ	تفسير الخطيب
١٠	تفسير الجلالين	١ ـ جلال الدين المحلي ٨٦٤ هـ ٢ ـ جلال الدين السيوطي ٩١١ هـ		تفسير الجلالين

التعريف بكتب التفسير بالرأي

١ ـ تفسير الفخر الرازي :

مؤلف هذا التفسير هو العلامة الشيخ محمد بن عمر الرازي المتوفي سنة ٦٠٦ هـ وتفسيره يسمّى (مفاتيح الغيب) وقد سلك في تفسير ، مسلك الحكماء الإلهيّين، فضاع أدلته في مباحث الإلهيات، وردّ على المعتزلة والفرق الضّالة بالحجج الدامغة، والبراهين القاطعة، وتعرّض لشبهات المنكرين والجاحدين بالنقض والتفنيد ، وتفسيره من أوسع التفاسير في موضوع علم الكلام، كما أنه في العلوم الطبيعية والكونية إمام جليل، فقد تكلّم عن الأفلاك والأبراج وعن السماء والأرض، والحيوان والنبات، وفي أجزاء الإنسان، بشكل واسع وغرضه نصرة الحق وإقامة البراهين على وجود الله عز وعلا. والرد على أهل الزيغ والضلال.

٢ ـ تفسير البيضاوي:

مؤلف هذا التفسير هو العالم الجليل الشيخ عبد الله البيضاوي المتوفي سنة ٦٨٥ هـ، وتفسيره يسمى (أنوار التنزيل) وهو كتاب جليل دقيق، جامع بين الرواية والدراية وهو يقرر الأدلة على مذهب أهل السنّة، وهو حجة ثبت، وقد التزم أن يختم كل سورة بما روى في فضلها من الأحاديث، غير أنه لم يتحر الصحيح، وله حواشٍ عديدة أشهرها حاشية الشهاب الخفاجي وحاشية سعدى افندي.

٣ ـ تفسير الخازن:

مؤلف هذا التفسير الإمام عبد الله بن محمد المشهور بالخازن المتوفى سنة ٧٤١ هـ وتفسيره يسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) وهو تفسير مشهور يعنى بالمأثور، بيد أنه لا يذكر السند، وعبارته سهلة لا تعقيد فيها، ولا غموض وله ولوع بالتوسع في الروايات والقصص، وقد يذكر في تفسيره بعض الروايات الإسرائيلية لينبّه على ما فيها من باطل، فيسوق القصة الطويلة ثم يحكم عليها بالضعف او الكذب، ولكنه في بعض الأحيان يسكت عنها حتى يظنّ القارىء أنّ هذه الرواية صحيحة، وبالجملة فتفسيره حسن رائع لولا كثرة ما فيه من قصص وروايات لا يحسن ذكرها لكونها ضعيفة أو مكذوبة.

٤ ـ تفسير النسفي:

مؤلف هذا التفسير هو الشيخ العالم الزاهد عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٧٠١ وتفسيره يسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) وهو تفسير جليل، متداول مشهور، سهل ودقيق، يعتبر بالنسبة لبقية التفاسير بالرأي أوجز تفسير وأوسطه، قال فيه صاحب كشف الظنون: «هو كتاب وسط في التأويلات جامع لوجوه الإعراب والقراءات، متضمن لدقائق علم البديع والإشارات، مرشح لأقاويل أهل السنة والجماعة، خالٍ من أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل..» اهـ.

٥ ـ تفسير النيسابوري:

مؤلف هذا التفسير هو الشيخ نظام الدين الحسن محمد النيسابوري المتوفى ٧٢٨ هـ وتفسيره يسمى (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) ويمتاز هذا التفسير بسهولة عبارته وبتحقيق ألفاظه، مع خلوّه من الحشو والتعقيد، وقد عنى بأمرين يلتزمهما: الكلام على القراءات، والكلام على التفسير الإشاري، وهو مطبوع طبعة شهيرة على هامش تفسير ابن جرير، وهو مختصر لتفسير الفخر الرازي مع تهذيب كبير.

٦ ـ تفسير أبي السعود:

مؤلف هذا التفسير العالم اللغوي، الحجة الضليع، القاضي محمد بن محمد بن مصطفى الطحاوي، المشهور بأبي السعود، المتوفى سنة ٩٥٢ هـ وتفسيره هذا يعتبر من أحسن التفاسير وأجمعها، لأنه غاية في حسن الصوغ، وجمال التعبير، كشفَ فيه عن أسرار البلاغة القرآنية، والحِكَم الربانية، يستهويك حسن تعبيره، ويروقك سلامة تفكيره، ويروعك ما أخذ نفسه به من تجلية بلاغة القرآن، والعناية في بيان إعجازه، مع سلامة في الذوق، ومحافظة على عقائد أهل السنة، وبعد عن الحشو والتطويل، وتفسيره دقيق يحتاج لفهمه الخاصة من أهل العلم.

٧ ـ تفسير أبي حيان:

مؤلف هذا التفسير هو الشيخ محمد بن يوسف بن حيّان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ وتفسيره يسمى (البحر المحيط) وهو في ثماني مجلدات ضخمة وقد جمع المؤلف فيه فنون العلوم من نحو وصرف وبلاغة وأحكام فقهية إلى غير ما هنالك ويعتبر هذا التفسير مرجعاً هاماً من مراجع التفسير، وعبارته سهلة ليس فيها تعقيد أو غموض، وسمّاه البحر المحيط لكثرة ما فيه من علوم متنوعة تتعلق بمادة التفسير.

٨ ـ تفسير الألوسي:

مؤلف هذا التفسير هو الإمام العالم الجهبذ شهاب الدين السيد محمود الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ مفتي بغداد، حجة الأدباء، وقدوة العلماء، ومرجع أهل الفضل والعرفان، كان رحمه الله على جانب عظيم من الفهم والعلم وسعة الإطلاع، وكتابه المسمّى (روح المعاني) جامع لآراء السلف رواية ودراية، مشتمل على أقوال أهل العلم، جامع لخلاصة ما سبقه من التفاسير، وهو شديد النقد للروايات الإسرائيلية، يعتني بالتفسير الإشاري، وبوجوه البلاغة والبيان، ويعتبر تفسيره من خير المراجع في علم التفسير بالرواية والدراية والإشارة.

أشهر تفاسير آيات الأحكام

الرقم	اسم الكتاب والمذهب	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	الشهرة
١	أحكام القرآن (حنفي)	أحمد بن علي الرازي الجصاص	٣٧٠ هـ	تفسير الجصاص
٢	أحكام القرآن (شافعي)	علي بن محمد الطبري لكيا الهراسي	٥٠٤ هـ	تفسير لكيا الهراسي
٣	الإكليل في استنباط التنزيل (شافعي)	جلال الدين السيوطي	٩١١ هـ	تفسير السيوطي
٤	أحكام القرآن (مالكي)	محمد بن عبدالله الأندلسي	٥٤٣ هـ	تفسير ابن العربي
٥	الجامع لأحكام القرآن (مالكي)	محمد بن أحمد بن فرح القرطبي	٦٧١ هـ	تفسير القرطبي
٦	كنز العرفان (شيعي)	مقداد بن عبدالله السيوري	التاسع الهجري	تفسير السيوري
٧	لثمرات اليانعة (زيدي)	يوسف بن أحمد الثلائي	٨٣٢ هـ	تفسير الزيدي

اشهر كتب التفسير الاشاري

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الشهرة
١	تفسير القرآن الكريم	سهل بن عبدالله التستري	تفسير التستري
٢	حقائق التفسير	أبو عبد الرحمن السلمي	تفسير السلمي
٣	الكشف والبيان	أحمد بن ابراهيم النيسابوري	تفسير النيسابوري
٤	تفسير ابن عربي	محيي الدين بن عربي	تفسير ابن عربي
٥	روح المعاني	شهاب الدين محمد الألوسي	تفسير الألوسي

(اشهر تفاسير المعتزلة والشيعة)

الرقم	اسم الكتاب والمذهب	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة الشهرة	
١	تنزيه القرآن عن المطاعن (معتزلي)	عبد الجبار بن أحمد الهمذاني	٤١٥ هـ	تفسير الهمذاني
٢	أمالي الشريف المرتضى (معتزلي)	علي بن أحمد الحسين	٤٣٦ هـ	تفسير المرتضى
٣	الكشاف (معتزلي)	محمود بن عمر الزمخشري	٥٣٨ هـ	تفسير الزمخشري
٤	مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار (شيعي)	عبد اللطيف الكازراني	غير معروف	تفسير المشكاة
٥	تفسير العسكري (شيعي)	الحسن بن علي الهادي	٢٦٠ هـ	تفسير العسكري
٦	مجمع البيان (شيعي)	الفضل بن الحسن الطبرسي	٥٣٨ هـ	تفسير الطبرسي
٧	الصافي في تفسير القرآن (شيعي)	محمد بن الشاه مرتضى الكاشي	١٠٩٠ هـ	تفسير الكاشي
٨	تفسير القرآن (شيعي)	عبدالله بن محمد العلوي	١٢٤٢ هـ	تفسير العلوي
٩	بيان السعادة (شيعي)	سلطان محمد بن حيدر الخراساني	١٣١٥ هـ	تفسير الخراساني

اشهر كتب التفسير في العصر الحديث

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الشهرة
١	تفسير القرآن الكريم	محمد رشيد رضا	تفسير المنار
٢	تفسير المراغي	أحمد مصطفى المراغي	تفسير المراغي
٣	محاسن التأويل	جمال الدين القاسمي	تفسير القاسمي
٤	في ظلال القرآن	الشهيد سيد قطب	تفسير الظلال
٥	التفسير الواضح	محمد محمود الحجازي	التفسير الواضح
٦	تفسير الجواهر	طنطاوي جوهري	تفسير الجوهري
٧	تيسير التفسير	الشيخ عبد الجليل عيسى	تفسير عيسى
٨	المصحف المفسّر	محمد فريد وجدي	تفسير وجدي
٩	الهداية والعرفان	أبو زيد الدمنهوري	تفسير الدمنهوري
١٠	صفوة البيان	حسنين مخلوف	تفسير مخلوف
١١	فتح البيان	صدّيق حسن خان	تفسير حسن خان

وهناك تفاسير أخرى غير هذه التفاسير السابقة لم نذكرها خشية التطويل والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

فصل

(في التنبيه على أحاديث وضعت في فضل سور القرآن)

قال العلامة القرطبي في مقدمة تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) في باب التنبيه على الأحاديث الموضوعة في فضل سور القرآن ما يلي:

«لا التفات لما وضعه الواضعون، وأخذه المختلقون، من الأحاديث الكاذبة، والأخبار الباطلة، في فضل سور القرآن، وغير ذلك من فضائل الأعمال، قد ارتكبها جماعة كثيرة، اختلفت أغراضهم ومقاصدهم في ارتكابها.

١ - فمنهم قوم من الزنادقة مثل (المغيرة الكوفي) و(محمد الشامي) المصلوب وغيرهما وضعوا أحاديث، وحدّثوا بها ليقعوا بذلك (الشكّ) في قلوب الناس، منها ما رواه الشامي عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا خاتم النبيين لا نبيّ بعدي إلا ما شاء الله» فزاد هذا الاستثناء لما كان يدعو إليه الإلحاد والزندقة.

٢ - ومنهم جماعة وضعوا الحديث (هوىً) يدعون الناس إليه، قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب: «إنّ هذه الأحاديث دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم، فإنّا كنّا إذا هوينا أمراً صيّرناه حديثاً».

٣ - ومنهم جماعة وضعوا الحديث (حسبةً) كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال كما روى عن (أبي عصمة المَرْوَزيّ) قيل له: من أين لك عن عكرمة

عن ابن عباس، في فضل سور القرآن سورة سورة؟

فقال: إني رأيت الناس قد اعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة[1]. قال ابن الصلاح: وهكذا الحديث الطويل الذي يُروى عن (أبي بن كعب) عن النبي في فضل القرآن سورة سورة، وقد بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه، وإن أثر الوضع عليه لبين، وقد أخطأ الواحدي المفسّر، ومن ذكره من المفسّرين في إيداعه في تفاسيرهم.

٤ - ومنهم قوم من السُّؤال[2] يقفون في الأسواق والمساجد، فيضعون على رسول الله ﷺ أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها، فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد.

قال جعفر بن الطيالسي:

«صلى أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، في مسجد الرّصافة، فقام بين أيديهما قاصّ (محدّث) فقال: حدّثنا أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين قالا أنبأنا عبد الرزاق، قال أنبأنا معمر، عن قتادة، عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله، يُخلق من كلّ كلمة منها طائر، منقاره من ذهب، وريشه مرجان»، وأخذ في قصة نحواً من عشرين ورقة، فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى ينظر إلى أحمد، فقال: أنت حدّثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت به الاّ هذه الساعة، فسكتنا حتى فرغ من قصصه فقال له يحيى: من حدّثك بهذا الحديث فقال: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، فقال: أنا ابن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قطّ في حديث رسول الله، فإن كان ولا بدّ من الكذب فعلى غيرنا فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم، قال: لم أزل أسمع أنّ يحيى بن معين أحمق، وما علمته إلاّ هذه الساعة، فقال له يحيى: وكيف علمت أني أحمق؟ قال: كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل غيركما.

---

(١) حسبة: أي لوجه الله دون غيره في الدين.

(٢) السُّؤال: جمع سائل الذي يسأل الناس المعونة.

كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا، قال: فوضع أحمد كمّه على وجهه وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزيء بها.

قال القرطبي: فهؤلاء الطوائف كذبة على رسول الله ﷺ ومن يجري مجراهم.. ثم قال: فلو اقتصر الناس على ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها من المصنفات التي تداولها العلماء، ورواها الأئمة الفقهاء، لكان لهم في ذلك غُنْية، وخرجوا عن تحذيره ﷺ حيث قال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

فحذار مما وضعه أعداء الدين، وزنادقة المسلمين، في باب الترغيب والترهيب وغير ذلك، وأعظمهم ضرراً أقوام من المنسوبين إلى الزهد، وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا. فتقبّل الناس موضوعاتهم، ثقة منهم بهم، وركوناً إليهم، فضلوا وأضلوا[1].»

هل في القرآن ألفاظ غير عربية؟

من المقطوع به أن القرآن نزل بلسان العرب، وأنه كتاب عربي. نزل على أمة عربية بلسان عربي مبين، ليكون منهاجاً لحياتهم، ودستوراً لمجتمعهم وليعتبروا به ويذكروا بما فيه ﴿ليدبروا آياته، وليتذكر أولو الألباب﴾[2] وقد تضافرت النصوص القرآنية الكثيرة، على أن القرآن «عربي» في نظمه وفي لفظه. وفي أسلوبه وفي تركيبه وأنه ليس فيه ما يخالف طريقة العرب في المفردات والجمل والأسلوب والخطاب. من هذه النصوص الكريمة ما يلي:

١ ـ قوله تعالى ﴿لتكونَ من المنذرينَ * بلسانٍ عربيٍ مبينٍ﴾[3]

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿كتابٌ فصّلتْ آياته قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون﴾[4]

---

(١) أنظر: تفسير القرطبي، ج ١ ص ٧٨.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٤، ١٩٥.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣.

٣ ـ وقوله جل ثناؤه ﴿إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ [١]

٤ ـ وقوله جل علا ﴿قرآناً عربياً غيرَ ذي عوج لعلهم يتقون﴾ [٢]

وقد أجمع العلماء على أن القرآن عربي، ولكن اختلفوا: هل فيه ألفاظ مفردة من غير كلام العرب؟ على مذهبين:

آ ـ **المذهب الأول**: مذهب الجمهور وعلى رأسهم القاضي (أبو بكر ابن الطيب) وشيخ المفسرين (ابن جرير الطبري) و (الباقلاني) وغيرهم من العلماء الأعلام قالوا: إن القرآن عربي كلّه، وليس فيه ألفاظ أو مفردات من غير كلام العرب، وما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر اللغات، فإنما اتفق فيها أن توادرت اللغات عليها، فتكلمت بها العرب، والفرس، والحبشة وغيرهم.

ب ـ **المذهب الثاني**: مذهب طائفة من العلماء قالوا: إنّ في القرآن بعض ألفاظ ليس عربية، وأنّ تلك الألفاظ لقلتها، لا تخرج القرآن عن كونه عربياً مبيناً، فمثلاً لفظ (المشكاة) بمعنى الكُوة، ولفظ (الكفل) بمعنى الضعف، ولفظ (قسورة) بمعنى الأسد كل هذه الألفاظ هي بلسان الحبشة وهي ألفاظ غير عربية.

وكذلك لفظ (القسطاس) بمعنى الميزان بلسان الروم.

ولفظ (السجيل) بمعنى الحجارة والطين بلسان الفرس.

ولفظ (الغساق) بمعنى البارد المنتن بلسان الترك.

ولفظ (اليم) بمعنى البحر، و (الطور) بمعنى الجبل بلسان السريانية.

قال ابن عطية:

«فحقيقة العبارة أنّ هذه الألفاظ في الأصل (أعجمية) لكنّ العرب استعملتها وعرّبتها فهي عربية بهذا الوجه، وقد كان للعرب مخالطة لغيرهم من سائر الألسنة فعلقت العرب بألفاظ أعجمية، استعملتها في أشعارها وتحاورت بها، حتى جرت مجرى

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٨

العربي الصحيح، وعلى هذا الحدّ نزل بها القرآن[1]...».

أدلة الجمهور:

وقد استدل الجمهور ببعض الأدلة التي تثبت أن القرآن عربي وليس فيه ألفاظ غير عربية وفيه أسماء أعلام لمن لسانه غير لسان العرب، مثل (اسرائيل) و(جبرئيل) و(عمران) و(نوح) و(لوط). وقد استدل الجمهور بما يلي:

أولاً: الآيات القرآنية السابقة التي أثبتت أن هذا القرآن عربيّ كله في لفظه، وأسلوبه، ونظمه، وتركيبه، فقد أخبر الله عز وجل عن القرآن بأنه عربي فقال تعالى **﴿قرآنا عربياً﴾** وتكرّر هذا اللفظ في آيات عديدة ومعلوم أنّ لفظ القرآن عام يشمل جميع السور والآيات، ويشمل كلّ الألفاظ والمفردات.

ثانياً: إن القرآن نزل بلغة العرب ليفهموه ويعقلوه ويتدبروا معانيه، ويستحيل ان يخاطب الله تعالى قوماً بما لا يعلمون، كيف والآيات صريحة في انزاله بلغة العرب للاعتبار والعمل **﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾**[2] و **﴿قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾**[3] وهذا ينفي أن يكون فيه ألفاظ غير عربية.

ثالثاً: إنّ الله تعالى قد ردّ على المشركين حين زعموا أن محمداً ﷺ تلقّى هذا القرآن عن بعض أهل الكتاب (جبر الرومي) وأقام الحجة عليهم باختلاف اللسانين قال تعالى **﴿ولقد نعلم أنّهم يقولون إنّما يعلمه بشرٌ. لسانُ الذي يلحدون إليه أعجميّ، وهذا لسانٌ عربيّ مبين﴾**[4] فالقرآن عربي وذلك أعجمي وشتّان بينهما.

رابعاً: لو كان في هذا القرآن شيء ليس من لغة العرب، أو لا يفهمه العرب، أو ألفاظ (أعجمية) غير عربية، لأعلن المشركون اعتراضهم على القرآن، واحتجوا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، ج ١ ص ٦٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

بذلك على عدم صدق الرسول كما قال تعالى ﴿**ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا: لولا فصلت آياته، أعربيّ وعجميٌّ..**﴾[1] الآية.

خامساً: إن ما وجد في القرآن من ألفاظ تنسب إلى سائر اللغات، فإنما هو من باب (توارد اللغات واتفاقها بمعنى أن هذه اللفظة تكلم بها العرب، وتكلم بها الفرس، والعجم، وتكلم بها غيرهم، فهي مما اتفقت عليه اللغات لا يعني أن هذه الألفاظ غير عربية، فإذا تكلم بها العرب فهي عربية، وإذا تكلم بها غيرهم أو استعملها الأعاجم فلا يخرجها عن كونها عربية.

الترجيح:

والصحيح ما ذهب إليه (الطبري) وجمهور العلماء من أنّ القرآن كله عربي، وهو ما نشهد له النصوص الكثيرة، والحجج الدامغة القوية التي احتج بها العلماء.

وقد انتصر العلامة القرطبي لرأي الجمهور، وردّ الرأي الثاني، وقال ـ بعد أن ذكر المذهبين ـ إن الأول أصح، فإن العرب لا يخلو أن تكون تخاطب بها أوْ لا، فإن كان الأول فهي من كلامهم، ولا يبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم.

وإن لم تكن العرب تخاطبت بها، ولا عرفتها استحال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون، وحينئذ لا يكون القرآن عربياً، ولا يكون الرسول مخاطباً لقومه بلسانهم». اهـ[2].

بحث ترجمة القرآن

معنى الترجمة:

ترجمة القرآن معناها نقل القرآن إلى لغات أجنبية أخرى غير اللغة العربية وطبع

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٤. ومعنى الآية: لو أنزلنا القرآن بغير لغتهم، وجعلناه باللغة الأعجمية لقالوا: هلا بينت آياته ونزلت كلماته بلغتنا العربية لنتفهمه ونتدبره؟ (أعربي وعجمي)؟ أي رسول عربي وقرآن أعجمي؟ كيف يكون ذلك؟ وكيف ينزل القرآن الأعجمي على الرسول العربي؟

(٢) انظر: تفسير القرطبي، ج ١ ص ٦٩.

هذه الترجمة في نسخ ليطلع عليها من لا يعرف اللغة العربية (لغة القرآن) ويفهم مراد الله عز وجلّ من كتابه العزيز بواسطة هذه الترجمة.

أنواع الترجمة:

وتنقسم هذه الترجمة إلى قسمين:

الأول: الترجمة الحرفية.

الثاني: الترجمة التفسيرية.

والمراد بالقسم الأول (الحرفية) أن يترجم القرآن بألفاظه ومفرداته وجمله وتركيبه ترجمة طبق الأصل إلى اللغة الانجليزية، أو الألمانية، أو الفرنسية.

مثلاً فيقال: (القرآن باللغة الانجليزية) أو (القرآن باللغة الألمانية) وهكذا فهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه، وبعض الناس يسمي هذه الترجمة (ترجمة لفظية).

وأما القسم الثاني (التفسيرية) فهو يترجم معنى الآيات الكريمة، بحيث لا يتقيد الإنسان باللفظ، وإنما يكون همّه المعنى، فيترجم القرآن بألفاظ لا يتقيد بها بالمفردات والتراكيب، وإنما يعمد إلى الأصل فيفهمه. ثم يصبّه في قالب يؤديه من اللغة الأخرى ويكون هذا المعنى موافقاً لمراد صاحب الأصل من غير أن يكلف نفسه عناء البحث والوقوف عند كل مفرد من المفردات، أو لفظة من الألفاظ. وهذا النوع يسمى (الترجمة الحرفية) أو الترجمة المعنوية.

شروط الترجمة:

ويشترط للترجمة سواء كانت حرفية، أو تفسيرية، شروط عدة نوجزها فيما يلي:

١ - أن يعرف (المترجم) بكسر الجيم اللغتين معاً، لغة الأصل، ولغة الترجمة.

٢ - أن يكون ملماً بأساليب وخصائص اللغات التي يود ترجمتها.

٣ - أن تكون (صيغة الترجمة) صحيحة بحيث يمكن أن تحل محل الأصل.

٤ - أن تفي الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده وفاء كاملاً

كما يشترط للترجمة (الحرفية) زيادة على هذه الشروط شرطان آخران:

الأول: وجود مفردات كاملة في لغة الترجمة، مساوية للمفردات التي هي لغة الأصل.

الثاني: تشابه اللغتين في الضمائر المستترة، والروابط التي تربط الجمل لتأليف التركيب.

هل تجوز الترجمة الحرفية للقرآن؟

وعلى ضوء ما سبق من تقسيم الترجمة إلى حرفية، وتفسيرية، ومعرفة معنى كلّ منهما، والشروط التي ينبغي أن تتوفر في الترجمة، يتضح لنا أنّ (الترجمة الحرفية) غير جائزة، وغير صحيحة وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: أنه لا يجوز كتابة القرآن بغير أحرف اللغة العربية لئلا يقع التحريف والتبديل.

ثانياً: إنّ اللغات (غير العربية) ليس فيها من الألفاظ والمفردات والضمائر ما يقوم مقام الألفاظ العربية.

ثالثاً: إن الاقتصار على الألفاظ قد يفسد المعنى، ويسبب الخلل في التعبير والنظم.

ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك ليتوضح الأمر فنقول:

لو أردنا ترجمة الآية الكريمة وهي قوله تعالى **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾**[1] فإذا أردنا ترجمتها ترجمة حرفية، فإنّ الترجمة تكون كالآتي: (لا تجعل يدك مربوطة إلى عنقك، ولا تمدّها كل المد) إلى آخره وهو معنى فاسد لم يقصده القرآن الكريم بل قد يستنكر المترجم له هذا الوضع، فيقول: لماذا ينهانا الله عن ربط اليد بالعنق، أو مدها غاية المدّ؟

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

فالتعبير الذي جاء في القرآن إنما هو من (باب التمثيل) لبيان عاقبة الإسراف أو الشح، وهو معنى من أروع المعاني لا يدركه إلاّ من فهم أساليب العرب في التخاطب بالأسلوب البليغ. وكذلك قوله تعالى ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾[1] فإن هذا اللفظ لا يمكن ترجمته ترجمة حرفية لوجود نوع خاص من التعبير البليغ يسمى ب (الاستعارة المكنية) وهذا لا يوجد في غير اللغة العربية، ومثله قوله تعالى ﴿قدم صدق عند ربهم﴾[2] وقوله ﴿تجري بأعيننا﴾[3] ومثله كذلك قوله تعالى ﴿هن لباسٌ لكم وأنتم لباس لهن﴾[4] فإذا ترجمناها ترجمة حرفية يفسد المعنى تماماً، ويصبح ضرباً من الهذيان في الكلام وأمثال هذا كثير وفساده واضح.

ترجمة القرآن بالمعنى:

أما ترجمة القرآن بالمعنى فهي جائزة بالشروط المتقدمة، وهي لا تسمى (قرآنا) وإنما تسمّى تفسيراً للقرآن. ذلك لأن الله تعبدنا بألفاظ القرآن، ولم يتعبدنا بغيره من الكلام. فكلام الرسول ﷺ نجوز روايته بالمعنى بأن نقول قال رسول الله: ما معناه، ولكن القرآن لا يجوز روايته بالمعنى، فلا يصح ان نقول: قال الله تعالى ما معناه، بل لا بدّ من تلاوة النص بحروفه وألفاظه لأنه موحى به من عند الله، ولأنه معجز بلفظه ومعناه.

فالترجمة في الحقيقة ههنا ليست ترجمة للقرآن، وإنما هي ترجمة لمعاني القرآن، او ترجمة لتفسير القرآن، وقد أنزل الله كتابه الى الخلق اجمعين، ليكون مصدر هداية، وإرشاد وإسعاد لهم، فلا مانع لنا ان ننقل معاني القرآن إلى الامم الأخرى ممن لا يعرفون اللغة العربية، ليستنيروا بهذا القرآن ويقبسوا من هديه وإرشاده. وهذا بلا شك غرض من أغراض القرآن ﴿إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقومُ﴾[5].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢.

(٣) سورة القمر، الآية: ١٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٥) سورة الاسراء، الآية: ٩.

فترجمة القرآن بهذا المعنى يجيزها العلماء بل هي واجبة على المسلمين ليبلغوا الناس دعوة الله، ويحملوا اليهم هداية القرآن، وبغير هذه الترجمة لا يمكن أن يدرك الناس عظمة هذه الشريعة، وروعة هذا الدين، وجمال هذا القرآن والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.